تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

هدي عقيدة القرآن في بناء المجتمع

ص 8

د. محمد السيسي

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

3 دراهم

المحجة

نصف شهرية جامعة

AlmahajjaJournal | almahajjafes@gmail.com | www.almahajjafes.net

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج | 22 شوال 1438هـ الموافق لـ 17 يوليوز 2017م | العدد: 483

افتتاحية

جهاز المناعة الحضاري

حضارة الأمم في بنائها وتفاعلها مثل بناء الجسم الحي أو تكاد، فكما تحتاج الأبدان إلى ما يحفظ وجودها من الفساد، ويمنحها قوة مقاومة الأمراض، فكذلك حضارة الأمة.

وإن أمتنا الإسلامية قد ابتليت في القرون الأخيرة بالتراجع الحضاري، ودبّ إلى أوصالها كثير من أعراض داء فقدان المناعة -فكريا ونفسيا واجتماعية وسياسيا- فتبددت لحمة الجماعة، وصارت أجهزتها إلى نقض عُراها نزاعة...

● **أولا: في أعراض داء فقدان المناعة الحضارية، وهي كثيرة منها:**

- **سياسيا:** الانحراف عن العمل بالمرجعية القرآنية للأمة وعن الاهتداء في السياسة الشرعية بهدي تشريعاتها الربانية إلى العمل بكل ما ورد علينا من الأمم الغربية، ويكاد جهاز التدبير في الأمة ألا ينتج إلا ما يفضي إلى تدمير المقومات، وهدم الأعمدة والمكونات.

- **فكريا:** التنكر لما اختصت به الأمة من الثوابت والأصول، وقطع حبل الصلة بما أبدعته العقول، في جميع المجالات والحقول. فصارت وظيفة جهاز التفكير مسيئة لتأويل ما ورد في الوحي والتنزيل والتفنن في ابتكار كل ما يفضي إلى التشويه والتعطيل مع فتح الباب لكل دخيل، وتمجيد كل ما يُلْحِقُ الأمة بالأذناب والذيول. وهذا -لعمري- علامة من علامات فقدان المناعة الفكرية.

- **واجتماعيا:** اختفت تدريجيا أصول تدبير مشكلات المجتمعات المسلمة، والعيش وفق ما أنشأته من أنماط العيش المناسبة لخصوصياتها مما يوافق هدي تصوراتها، حيث رُمِيَت بتهمة "التقاليد البالية" وفُصِلت عن جذورها الإسلامية، وانتشرت في الأمة كل مظاهر الهجنة بدعوى التحرر والعصرنة، وهكذا تعطلت قُوَى الدفاع والمناعة الاجتماعة لجسمنا الحضاري.

- **ونفسيا:** انتُزعت الثقة في الذات وأُضعف الاعتزاز بالمقومات، والافتخار بما كان للأجداد من الأمجاد والمنجزات، وأميتت في الأبناء الطموحات في إحياء النموذج الإنساني في الأخلاق والمكرمات.

إنه فعلا داء فقدان المناعة المكتسبة حضاريا الذي استشرى في الأمة أفرادا وجماعات، وفي جميع القطاعات والمجالات والمستويات، في الأفكار والمعتقدات، وفي التشريعات والتصرفات.

● **ثانيا: في محصنات جهاز المناعة الحضاري:**

وإن الوعي الحضاري للأمة لن يكون إلا يوم تعي ما يقوي جهازها المناعي ويعزز مكتسباتها الحضارية، ويدعم خصوصياتها بين الأمم، وإن ذلك لا يحصل يوم يحصل إلا بالعمل الدؤوب على تحقيق جملة أمور ضرورية أبرزها اثنان:

أولها: بناء مشروع علمي متكامل المكونات؛ يخدم الأصول والمقومات، ويستوعب الضروريات والحاجيات والتحسينيات، ويجيب عن التساؤلات التي يفرضها ما يستجد من المشكلات والمعضلات، مشروع تكون الاختيارات الأولى فيه لما يلي:

1 - **علوم الوحي تعليما وتربية،** توجيها وتجويدا وتجديدا، استمداد وامتدادا، فهي وحدها القمينة بتجديد خلايا المناعة الحضارية، وهي وحدها الكفيلة بوصل ما انفصل، واسترجاع ما سُلب؛ فمن غير الوحي وعلومه ومن غير الاستمداد منهما في بناء الوعي الحضاري الراشد والمُرَشِد لن تقدر الأمة على إعادة ذاتها إلى الوجود بله الحضور والشهود..

2 - **العلوم الإنسانية:** بتأسيسها على ميزان الرؤية الإسلامية للإنسان والحياة والكون، وفق حاجات الأمة داخليا وخارجيا، تأسيس من شأنه أن يقود إلى صياغة نموذج تجد فيه الأمة عزتها ومناعتها من كل الأمراض الحضارية التي أصابتها في مقتلها سياسيا واقتصاديا وفكريا ونفسيا واجتماعيا..

3 - **العلوم المادية:** بإقامتها على هدي الوحي وفي مختلف تخصصاتها الحيوية الدقيقة من العلوم الطبية والبيولوجية إلى العلوم المادية والرياضية والتقنية لسد الخصاص وتحقيق الاستقلال الحضاري المشروط بقوة الإبداع العلمي والتفوق المادي والتميز الفكري.

ثانيها: مشروع بناء وحدة الأمة العضوية بين أفرادها ومؤسساتها وجماعاتها وشعوبها ودولها؛ وحدةٌ تنفي الفرقة، وائتلافٌ ينفي الاختلاف، واختلافٌ تنوع يجُبُّ اختلاف الفرقة والتقطع.

وحدة تتكامل فيها البلدان الإسلامية ولا تتآكل، ووحدة تستثمر فيها كل الإمكانات التاريخية الإيجابية، والموارد الطبيعية الذاتية، والطاقات البشرية الهائلة للارتقاء بالأمة من السقوط إلى النهوض، ومن البكاء على الواقع المريض إلى أداء ما يلزمها في الوقت من واجبات وفروض، وإقامة تكاليفها الحضارية بوعي واسع الأفق عريض...

وأخيرا نختم بقول الله تعالى الذي يرشد إلى مفاتيح هذا الوعي: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: 138- 140).

مفهوم الإقامة ومعمولاته في القرآن الكريم

ص 2

ركن الحج
تجسيد للتعبد الحقيقي الشامل ومشاهدة حية لأسرار الخلق البديع

ص 6

في القراءة الحداثية للنص القرآني وقضاياه

ص 10

بعض القواعد الضابطة لجعل الاختلاف رحمة

ص 9

كيف تُسْتَثْمر العطل
اقتراحات عملية في قضاء الإجازة الصيفية

ص 11

مفهوم الإقامة ومعمولاته في القرآن الكريم دلالات ومقتضيات

أولا: في مفهوم الإقامة.

ورد لفظ الإقامة في لسان العرب مصدرا للرباعي أقام المشتق من الثلاثي (ق ا م)، ومدار الرباعي على معنى تعديل الشيء وإقامة اعوجاجه، وإصلاح الأمر، وتشييد البناء وقواعده، وإدامة الفعل والثبات عليه، وإنجازه على وجه تمامه وكماله، وهي المعاني التي غلب وروده بها في القرآن الكريم كما يأتي. لكن ما حجم وروده؟ وما دلالة ذلك؟

ثانيا: حجم حضور (أقام) ومعمولاته في القرآن الكريم:

وردت مشتقات لفظ الإقامة في القرآن الكريم 85 مرة (منها 54 مرة صيغة فعلية و31 مرة صيغة اسمية) مما يدل أن القرآن الكريم من مقاصده تحقق الفعل في الواقع من حيث هو فعل حسي ومادي وهو العلة في اكتساب الصفة واستقرارها في النفس.

وسنقتصر في هذا الجانب على الصيغة الفعلية دون الاسمية، كما سنقتصر في استنطاقنا للصيغ الفعلية على جانب معمولات الفعل أي المأمور بإقامته دون الصيغ الصرفية ودلالاتها. وهكذا نلاحظ أن فعل أقام في تصريفاته ورد في الزمن الماضي 15مرة، وفي المضارع 14 مرة، وفي الأمر 25 مرة. مما يفيد أن ورودها غلب عليه طلب تحقيقها وإنجازها أما صيغ الماضي والمضارع فغلب عليها مدح فعلها أو مدح فاعليها.

ثالثا: بحسب الموضوع المطلوب إقامته

الشيء المأمور بإقامته	حجم الورود
الدين	مرة واحدة
التوراة والإنجيل	مرتين
الصلاة	40 مرة
حدود الله	03 مرات
الشهادة	مرة واحدة
جدار آيل للسقوط	مرة واحدة
الوزن بالقسط	مرتين
الوجه للدين	04 مرات

دلالات ومقتضيات:

لعل الجدول أعلاه يسعفنا في الجواب عن سؤال مهم هو: ما متعلق ومعمول فعل الإقامة؟ وما الذي طلب من الإنسان إقامته وإنجازه على وجه التمام والكمال بحسب الطاقة البشرية؟ وما قيمة ذلك المدوح أو المأمور بإقامته؟

1 – **إقامة الدين:** قد ورد الأمر بإقامة الدين في سورة الشورى عند قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: 13).

ومضامين هذه الآيات توحي بأن الأمر بإقامة الدين أمر كلي مطلق لكل الناس، وهو القصد من بعثة الرسل كلهم وعليه مدار كل الرسالات، وقد كادت كلمة العلماء تطبق بأن إقامة الدين هي حفظه والعمل به والمداومة على ذلك والثبات عليه في أصوله وفروعه والاجتهاد في الإتيان بتكاليفه على أتم وجوهها وأكملها.

وإذا نظرنا إلى هذا الأصل المأمور بإقامته وجدناه أصلا كليا شاملا لكل ما يدخل تحته كما فصله أبو بكر بن العربي، وما سيرد من الكلام بعد إن هو إلا بيان لجزئيات هذا الكلي، ولذلك نفى الله تعالى عن بني إسرائيل الإيمان والعمل به إن لم يقيموا التوراة والإنجيل ويوفوهما حقهما بالعلم والعمل فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (المائدة: 68).

2 – **إقامة الوجه:** وقد ورد معمولا في ثلاثة مواطن:

– مرتين بصيغة الأمر للمفرد المخاطب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الإسراء: 105)، وفي قوله تعالى أيضا: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30).

وفي هذه الصيغة أمر بالثبات على الدين والإخلاص والاستقامة عليه والاستمرار عليه وعدم الميل والالتفات إلى غيره من الشبهات والضلالات والأهواء والانحرافات، لأن ذلك هو الأصل والفطرة والدين القيم، وبهذا يصير المعنى كما يقول الطاهر بن عاشور: "محّض وجهك للدين لا تجعل لغير الدين شريكاً في توجهك" (التحرير والتنوير).

– ومرة بصيغة الجمع المخاطب كما في قوله جل وعلا: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: 29).

وتفيد هذه الصيغة أيضا أن الخطاب موجه للجماعة وليس للفرد بإقامة الوجوه لله والتوجه إليه في كل عبادة وعند أي مكان (مسجد)، وهو كناية على التمحض لله والتجرد له من كل الأهواء والإخلاص والاستقامة على أوامر الله تعالى مع الإخلاص.

3 – **إقامة الصلاة:** وقد ورد لفظ الصلاة معمولا لفعل أقام بمختلف تصريفاته ومشتقاته حوالي 40 مرة، وهي أكبر نسبة ورد بها لفظ الصلاة معمولا لفعل أقام ولم يرد الأمر بالصلاة حيثما أمر به ولا مدحه حيثما مدح إلا بلفظ الإقامة تنبيها على أن المقصود توفية شرائطها لا الإتيان بهيئاتها فقط كما ذكر الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى. كما نستفيد أيضا:

● أن الحديث عن إقامة الصلاة جاء بالصيغ الفعلية الثلاث (ماض، مضارع، أمر) مما يدل على شمول طلب الإقامة لها من كل الناس في كل زمان ومكان، لا يسقط أبدا حتى في حال الحرب.

● أن ذكرها والأمر بها لم يرد مفردا وحده ومستقلا عن غيره من المأمورات والممدوحات بل ورد مقرونا دائما بالحديث عن أفعال أخرى مدحا لفعلها ولفاعليها، أو ذما لتركها ولتاركيها، أو أمرا بها ونهيا عن تضييعها؛ وأبرز ذلك: إيتاء الزكاة، والوفاء بالعهود، الخشية من الله تعالى، الإمساك بالكتاب والتمسيك به وتلاوته، التوبة، والأخوة في الدين، الإنفاق في سبيل الله، التمكين في الأرض، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الاستجابة لله، الإيمان بالرسل ونصرتهم، والإخلاص.... مما يدل على قيمتها وأهميتها في الإيمان والعمل، فمن أقام الصلاة إقامة صحيحة كان أقدر على إقامة غيرها من أركان الدين الأخرى؛ لذلك جاء في الأثر أن الصلاة عماد الدين.

4 – **إقامة حدود الله:** ورد هذا المركب الإضافي "حدود الله" معمولا لفعل أقام في أحكام الطلاق والتطليق حرصا على توفية حدود الله التي وضعها الباري تعالى ضمانا لاستقرار الأسرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: 229).

5 – **إقامة الشهادة لله:** ورد لفظ الشهادة معمولا لفعل أقام، ومأمورا بإقامته في أحكام الطلاق وحقوق الزوجين أيضا؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: 2)، فالأمر هنا بإقامة الشهادة لله في معرض الطلاق والرجعة وانقضاء العدة مهم جدا لما فيه من مصلحة التأليف بينهما ودفع الظلم عن المرأة والإضرار، وحفظ النسب الذي هو من الضرورات الخمس عند العلماء.

واعتبارا للقيمة الكبيرة لإقامة الشهادة لله فقد سُوِّرَ التكليف بها في الحياة الزوجية بأركان الدين الإيمانية والخلقية في أعلى صورها تطبيقا للدين والعدل والتقوى.

6 – **إقامة الجدار الآيل للسقوط:** ورد فعل أقام متعديا إلى مفعول به هو "جدار يريد أن ينقض" فقال جل وعلا حكاية عن الرجل الصالح وموسى عليه السلام: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الكهف: 77). وفي تأويل فعل الإقامة الذي أنكره موسى قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف: 82).

ولعل ما يستفاد من الإخبار عن إقامة الجدار المتهاوي وما ورد في تسويغ الفعل في قوم بخلاء:

● أن المسلم الرباني دأبه دفع المفسدة أنى وجدها وإقامة المصلحة بدلها أنى علمها.

● أن المسلم لا يقابل السوء الوارد من الناس –المتمثل هنا بالإعراض عن دفع مفسد الجوع والإشراف على الهلاك– بإهمال رسالته في دفع الشرور وإقامة المصالح على أحسن وجوهها وأتم شرائطها، والإدامة على الصلاح والإصلاح وإقامة الاعوجاجات وسد الاختلالات.

7 – **إقامة الوزن بالقسط:** ورد لفظ الوزن بالقسط معمولا لفعل أقام في موطنين:

الأول: مسندا للإنسان على سبيل إقامة الوزن بالقسط وتوفيته فقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: 7– 8 – 9)، ولعل سياق الورود والأمر بإقامة الوزن بالقسط يسعف في استفادة جملة من المعاني منها:

● أن الميزان سواء أكان بمعناه الحسي (آلة الوزن) أو بمعناه المجازي (العدل في الحكم والقضاء عامة) هو سنة الله تعالى ونظامه التي يسير عليه الكون تكوينا، وأمر الإنسان بالسير وفقها تكليفا.

● الأمر بإقامة الوزن بالقسط والعدل ورد عاما في كل الأمور مما يدل على أنه مقصد شرعي به تستقيم الحياة وبه يعم الخير والأمن والازدهار، وبفقده يكثر الظلم وكل أسباب الحقد والتباغض والتعادي المفضية إلى فساد العمران والاجتماع البشري.

الثاني: أسند فيه فعل الإقامة لله جل وعلا فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: 103–105).

وسياق الآية يفيد ما يلي:

● أن لفظ الوزن في الآية يحتمل المعنى الحسي وهو الميزان لوزن أعمال العباد، ويحتمل المعنى المجازي وهو الاعتبار والقيمة.

● أن الله تعالى يخبر عباده بما يبطل أعمالهم ويفقدها قيمتها في القبول والاعتبار، وعلى رأسها الكفر بآيات الله واليوم الآخر، وهو كفر مفض إلى حبوط الأعمال، وحبوط العمل قرينة على ألا يقيم الله تعالى للعبد وزنا ولا اعتبارا.

● أن إقامة الوزن من الله تعالى زمانه الآخرة وهي دار جزاء ناسب طلب إقامتهم للدين وفروعه، فمن أقام ما طلب منه أقيم له الوزن، ومن لا فلا إلا أن يتغمد الله عباده برحمته وعفوه.

خلاصات:

مما سبق يمكن استخلاص خلاصات كبرى، لعل من أبرزها ما يلي:

– أن فعل أقام ومشتقاته الصرفية له حضور مهم في القرآن الكريم لأن معمولاته شملت كليات الدين وجزئياته، أصوله وفروعه.

– أن مدار فعل أقام على الإتيان بالمأمور به أو الممدوح على وجه التمام والكمال والديمومة والاستقرار والثبات والثبوت، ورعاية الأصلح للعباد في معاشهم ومعادهم وهو الحكمة من بعثة الرسل وتشريع التكاليف.

– أن أغلب معمول لفعل أقام هو الصلاة، وقرنت دوما بإتيان الزكاة، وتكاليف أخرى هي من أصول الدين الإيمانية وكلياته القطعية في الأخلاق والمعلوم من الدين بالضرورة مما لا يتصور تدين صحيح إلا بها، كما لا يتصور صلاح أو إصلاح إلا بها.

– أن التكاليف الشرعية فيها قدر من المشقة ومخالفة الهوى وغالبا ما يحدث أن تنازع فيها النفس فتميل إلى شهوات أو شبهات فلا يؤديها الإنسان كاملة لذلك كان الأمر بإقامتها دالا على معنى بذل الجهد في توفية إقامة تكاليف الشرع مع الإخلاص لله وصدق التوجه إليه..

والله أعلم وأحكم.

د. الطيب بن المختار الوزاني

فضل صيام الست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال، كان كصيام الدهر» (رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة).

توطئة للحديث:

شهر رمضان شهر الرحمة والغفران والعتق من النار، فرضه الله تعالى على كل بالغ عاقل قادر، والأصل في الفرائض أن أحكامها تقام على الوجه المطلوب شرعا، ولما كان النقص من طبيعة البشر فقد سن الشرع الحكيم للعباد نوافل ومستحبات تجبر النقص الذي قد يعتري الفرائض للوصول بها إلى أعلى درجة الكمال.

كما أن الإكثار من هذه النوافل، بالإضافة إلى دورها في جبر النقص، فهي تقرب العبد أكثر من الله تعالى وتحببه إليه، قال ﷺ، فيما يرويه عن ربه ﷻ: «.. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» (رواه البخاري).

ويعتبر صيام أيام ست من شوال دليل على شكر الصائم لربه الذي وفقه لصيام رمضان وهو دليل على حب الطاعات والقربات.

وصيام الست من شوال مشروط بصيام شهر رمضان، فلا يعقل أن تؤتى النوافل وتضيع الفرائض.

وصيامها اتباع لقول خير خلق الله تعالى، محمد ﷺ.

وصيامها اغتنام لنفحات ربانية قد لا يدركها العبد في باقي أيام السنة والعمر،

من خلال هذه الورقة سنحاول التعرف على حكم صيام هذه الأيام؟ وصيغة صيامها؟ وفضائل صيامها؟**من معاني الحديث:**

قوله ﷺ: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال» أي من صام رمضان على التمام والكمال -ليس عليه نقص في صيامه- ثم صام بعده ستة أيام من شهر شوال، وفي لفظة «أتبعه» ما يفيد التوالي: أي تقريب المدة بين صيام رمضان وصيام الست من شوال.

وصيام الست من شوال ثابت بالسنة القولية لرسول الله ﷺ، وحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه يؤكد ذلك، أما في السنة الفعلية فلم يثبت ذلك عنه، ﷺ، مما جعل الإمام مالك يقول بكراهة صيامها.

وقد اختلف الفقهاء في حكم صيامها؟ وفي صيغة صومها بين من يرى صومها متتابعة، وبين من يرى صيامها متفرقة، وفيما يلبيان ذلك:

أ - حكم صيام الست من شوال:

لأهل العلم في حكم صيامها ثلاثة مذاهب نوردها كالتالي:

• استحباب صيامها، وهذا مذهب الجمهور: الشافعي، وأحمد، وداود، وابن المبارك، وغيرهم.

• استحباب إخفاء صيامها، أثر ذلك عن مالك.

• كراهة صيامها حتى لا يتصل ذلك بالصيام الواجب وهو رمضان، وذهب إلى ذلك مالك وأبو حنيفة.

ولكل فريق أدلته على مذهبه.

1 – أدلة المستحبين لصيامها من غير قيد ولا شرط:

استدل هذا الفريق بأحاديث نذكر منها:

حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه إلى النبي ﷺ عند مسلم: «من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر» (رواه مسلم).

وحديث سعيد بن منصور رضي الله عنه في سننه بإسناده عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان، شهر بعشرة أشهر، وصام ستة أيام من الفطر وذلك تمام سنة» (مسند الإمام أحمد).

وهذا القول مذهب الجمهور وهو القول الراجح الذي يؤيده الدليل.

2 – أدلة الكارهين لصيام ستة شوال:

الكارهون لصيام الست من شوال، هم: مالك وأبو حنيفة ومن وافقهما:

قال مالك في الموطأ: (وصوم ستة أيام من شوال لم أر أحداً من أهل العلم والفقه يصومها، ولم يبلغه ذلك عن أحد من السلف، وأن أهل العلم في وقته كانوا يكرهون ذلك ويخافون بدعته، وأن يُلحق برمضان أهل الجفاء والجهالة ما ليس منه، لو رأوا في ذلك رخصة عند أهل العلم ورأوهم يعملون ذلك)

فخلاصة مذهب مالك:

• أنه لم ير أحداً من أهل الفقه يصومها.

• أنه لم يبلغه ذلك عن أحد من السلف.

وقد ذهب المالكية إلى رأي الجمهور.

وعلل أبو حنيفة كراهته لصيامها مخافة التشبه بأهل الكتاب في زيادة ما أوجبه الله عليهم من الصيام، والرد عليه كالرد على مالك.

ب - صفة صيامها:

الذين استحبوا صيامها، وهم الجمهور، وقولهم هو الراجح، اختلفوا في صفة صومها متفرقة أو مجتمعة، بعد العيد مباشرة أم يؤخر ذلك على أقوال، وهي:

• يستحب صيامها من أول الشهر بعد العيد متتابعة، وهذا مذهب الشافعي ومن وافقه، واستدلوا بحديث فيه ضعف: «من صام ستة أيام من الفطر متتابعة، فكأنما صام السنة».

• لا فرق بين تتابعها وتفرقها في الشهر كله، وهذا مذهب وكيع وأحمد.

• لا تصام بعد العيد مباشرة، فإنها أيام أكل وشرب، ولكن بعد ذلك، وهذا قول عطاء.

القول الراجح، والله أعلم، أن الأمر فيه سعة، فالعبد مخير بين أن يصومها مباشرة بعد العيد، ومن أخرها فله ذلك، ومن واصل صيامها فله ذلك، ومن فرّق بينها فله ذلك، وإن كان يستحب البدء بها بعدالعيد، لأن ذلك من باب المسارعة إلى الخير.

قال تعالى: ﴿سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

قال النووي: قالوا: (ويستحب أن يصومها متتابعة في أول شوال، فإن فرقها أو أخرها عن أول شوال جاز، وكان فاعلاً لأصل هذه السنة لعموم الحديث وإطلاقه، وبه قال أحمد وداود)

وقال الترمذي: (واستحب ابن المبارك أن يكون ستة أيام من أول الشهر، وقد روي عن ابن المبارك أنه قال: إن صام ستة أيام من شوال متفرقة فهو جائز)

وقوله ﷺ: «كان كصيام الدهر»: قيل في الدهر الزمان الطويل (التحرير والتنوير) وقيل فيه الزمن والعمر (معجم المصطلحات الفقهية) وقيل فيه الأمد الممدود، وفي اللسان الدهر ألف سنة، فمدار المعنى على عمر العبد المسلم الصائم لله تعالى، ولكن كيف نفهم هذه العملية الحسابية؟

وردت أحاديث تبين وتجلي هذا المعنى من ذلك:

• «من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» (رواه ابن ماجة وصححه الألباني).

• عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ: «من صام ستة من أيام بعد الفطر كان تمام السنة، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» (رواه النسائي وابن حبان والبيهقي).

فصيام شهر رمضان إذن ثلاثون يوما (30) إذا أضفنا لها ستا من شوال أصبحت ستة وثلاثين(36)

والحسنة بعشر أمثالها فذاك تمام ثلاثمائة وستون(360) يوما صياما وهي أيام السنة (السنة الهجرية تقريبا 354 يوما)، فإن واظب عليها العبد المسلم كل سنة كانت كصيام عمره ودهره.

فضل صيام التطوع:

ولبيان فضل الصوم عموما والتطوع خصوصا نورد الأحاديث التالية:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم عن وجهه النار سبعين خريفا» (حديث متفق عليه واللفظ لمسلم).

وعن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الجنة بابا يقال له الريان، فإذا كان يوم القيامة قيل: أين الصائمون؟ فإذا دخلوا أغلق فيشربون منه، فمن شرب منه لم يظمأ أبدا» (رواه الترمذي).

فهذه ما أعده الله تعالى للصائمين، نسأله سبحانه أن يوفقنا لفعل العمل الصالح الصواب، والحمد لله.

مستفادات من الحديث:

1 – صوم الست من شوال من النوافل وهذه الأخيرة تحبب العبد لربه فيصبح جل وعلا سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سأله ليعطينه، ولئن استعاذه ليعيذنه.

2 – الأصل في النوافل التيسير لا التعسير، فالله تعالى لا يمل حتى نمل.

3 – من معينات المسارعة لفعل الخيرات: الإيمان والتقوى.

4 – أجر الصوم اختص به الله تعالى ولا يعلم قدره إلا هو سبحانه، ومنه فالإكثار منه سبيل الزيادة من هذا الأجر والفوز يوم لقاء الله تعالى.

ذ. محمد بوزين

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل :.....

.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغرب : 60 درهم

■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،

فاس – المغرب

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة | المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي | المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج | مسؤول الإخراج: رشيد صدقي | الموقع الاكتروني: www.almahajjafes.net | البريد الاكتروني: almahajjafes@gmail.com | عنوان المراسلة: حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب | الهاتف: 0535931113 | الناسوخ: 0535944454 | الإيداع القانوني: 1994-61 | رقم الصحافة: 91/11 | الترقيم الدولي: 3627-1113 | الطبع: إكوبرانت | التوزيع: سابريس

مناهج الدعوة من خلال كتابات السيرة المعاصرة (2)

المنهج الدعوي التربوي

لقد ساد في وسط بعض الدعاة لزمن طويل، أن دورهم في وسط المدعوين، ينحصر في إلقاء الخطب، وإعطاء الدروس، وإعداد الفتاوى، وحل المشاكل العارضة، دون الشعور بتحمل مسؤولية المتابعة، أو الاهتمام بواقع المدعو وسلوكه، أو التأكد من حدوث تغيير إصلاحي على المستوى المجتمعي العام.

ولكن من خلال بعض كتابات السيرة المعاصرة، وخاصة التي هي من النوع التحليلي والفكري، بدأت تتبلور، وتنضج، وتبرز، وتسود في منظومة الدعوة الحديثة، وبين محيط الدعاة منهجية (الدعوة التربوية) والتي يقصد بها جعل الدعوة عملية تنموية مستمرة، تهدف إلى الإنماء والتطوير الشامل عند الداعي والمدعو، ولا تتوقف بانتهاء الموعظة الشفوية العابرة، إنما تنتقل من موقف إلى موقف، ووسيلة إلى أخرى، ليس فقط من أجل إتمام عملية البلاغ والوعظ، إنما لتعين على التطبيق العملي، وتحقيق التربية في صورها المتنوعة عند المدعو.

ولقد تجلت هذه المنهجية الدعوية التربوية على مستوى الدعاة قبل المدعوين، وأكدت على أن نجاحها على مستوى المدعوين، مرتبط بتحققها على مستوى الدعاة مع أنفسهم أولا. وكنتيجة لهذا الفهم، بدأت برامج إعداد وتأهيل الدعاة الفردية والمؤسسية تُعنى بتربية الدعاة ودعمهم روحانيا وفكريا وعلميا، بالقدر الذي يؤهلهم لإعداد وبناء شرائح المدعوين المختلفة.

ولقد كان من أهم الدوافع في تبني وظهور وانتشار هذه المنهجية على مستوى الدعوة المعاصرة هي هذه الوقفات التحليلية التربوية، والتعليقات المصحوبة بالمعاني والإشارات الدعوية، التي نُثرت بدقة، وصيغت بوعي، وحُررت بفهم بين طيات بعض كتب السير المعاصرة - خاصة - عند تناول أحداث المرحلة المكية، التي تمثل بدء انطلاقة الدعوة. من ذلك على سبيل المثال: قصة(1) اختلائه ﷺ في غار حراء متعبدا ومتأملا الليالي الطويلة، حتى جاءه الملك بالبشارة وطلائع آيات القرآن. يقول محمد الغزالي: (في غار حراء كان محمد ﷺ يتعبد، ويصقل قلبه، وينقي روحه، ويقترب من الحق جهده، ويبتعد عن الباطل وسعه. حتى وصل من الصفاء إلى مرتبة عالية انعكست بها أشعة الغيوب على صفحته المجلوة، فأمسى لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح)(2) وفي قوله هذا إشارة واضحة لعملية الإعداد والترقي الضروري للداعية قبل بدأ رسالة الدعوة والتبليغ. ولقد كان سعيد البوطي أكثر وضوحا وتركيزا على أهمية الإعداد والتربية للدعاة قبل تحمل رسالة الدعوة. يقول عند تحليله لنفس حدث اختلائه ﷺ: (فتلك هي العدة الكبرى التي ينبغي أن يتسلح بها الدعاة إلى الله، وتلك هي العدة التي جهز الله بها حبيبه محمدا ﷺ بأعباء الدعوة الإسلامية)(3).

أما في إطار تربية وإعداد المدعو فتأتي قصة(4) اجتماعه ﷺ بأصحابه في دار الأرقم ابن الأرقم، في المرحلة المكية، لتكون مادة غنية، يُبْرز من خلالها كتّاب السيرة المعاصرة دور الداعي الأول صلى الله عليه وسلم في مجال تربية المدعوين والارتقاء بهم. يقول الصلابي: (في دار الأرقم وفق الله تعالى رسوله إلى تكوين الجماعة الأولى من الصحابة، حيث قاموا بأعظم دعوة عرفتها البشرية. وكانت نقطة البدء في حركة التربية الربانية الأولى هي لقاء المدعو بالنبي ﷺ، فيحدث للمدعو تحول غريب، واهتداء مفاجئ، فيخرج المدعو من دائرة الظلام إلى دائرة النور، ويكتسب الإيمان ويطرح الكفر، ويقوى على تحمل الشدائد والمصائب في سبيل دينه الجديد وعقيدته السمحة)(5) وفي كتاب (النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية) يعقد مؤلفه فصلا كبيرا تحت عنوان (النبي ﷺ مربيا)(6) يعرض فيه جملة من المواقف التربوية النبوية الحية التي علّم، أو هذّب، أو قوّم، أو وجّه، النبي ﷺ من خلالها أصحابه، ليصل بهم إلى مستوى القدوات في المجالات المختلفة.

ولم تكتف كتابات السيرة المعاصرة بالتعليق أو التحليل أو الإشارة لأهمية التربية في الدعوة الإسلامية، إنما وجدنا بعضا منها(7) يتخذ موضوع التربية من خلال أحداث السيرة محورا أساسيا لمؤلفه، يعالج كل مفرداتها بعمق وتخصصية.

ولاشك أن اطلاع دعاة العصر على مثل هذه التحليلات والتعليقات، ودراستهم لهذه الكتابات التي تربط الدعوة بالتربية والتكوين، وتجعل من أهم وظائف الداعية التوجيه والتربية، رسمت ثقافة عامة عند جماهير الدعاة، تُلزم الداعية بواجبات تربوية تجاه نفسه، وتضعه على جملة من المسئوليات التربوية تجاه مدعوه ومجتمعه.

ومن خلال هذه الثقافة التي أنضجتها كتب السير المعاصرة، وأكدت عليها من خلال المصطلحات والألفاظ الدعوية التربوية المشتركة بين هذه الكتب المعاصرة، أصبحت التربية جزءا أصيلا من الدعوة وأهدافها، وبات تحقيقها من جملة ما تسمو إليه الدعوة من إنجازات في واقعها المعاصر. ومن هنا نشأت المنهجية الدعوية التربوية الحديثة، لتعلن عن نفسها في عدة مظاهر من أهمها:

- إقامة المعاهد الدعوية، والدورات التدريبية، والمسابقات التنافسية، والتقييمات الدورية بين الدعاة؛ للتنشيط والتأهيل والتطوير المستمر.
- انتشار شعار (الداعية القدوة) الذي أصبح هدفا في محيط الدعاة، يعملون على تحقيقه والالتزام به، ومعيارا بين المدعوين، يقاس عليه أداء الداعية وكفاءته.
- انتقال المدعو من مستوى المتلقي إلى مستوى المربَى، الذي يحرص على تدبر المعلومة، وتطبيق المعرفة، والاستفادة من الموعظة، وتحقيق التغيير.
- اهتمام الدعاة بقضايا التربية والإصلاح في المجتمعات، والقيام بالمتابعة والرصد، وعلاج الظواهر العامة.

---

1 - الجامع الصحيح سنن الترمذي، الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

2 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط 1415هـ- 1995. دار الكتاب المصري.

3 - حياة محمد، محمد حسين هيكل، ط التاسعة عشر، دار المعارف، القاهرة.

4 - دراسات في السيرة النبوية، حسن مؤنس، ط الثانية، 1985م، دار الزهراء للإعلامي العربي، القاهرة.

5 - دراسة في السيرة، عماد الدين خليل ط الثالثة عشر 1991م، دار النفائس، بيروت.

6 - الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد غلوش، ط الثانية 1407هـ1987-م.

7 - الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، ط1965، الدار القومية للطباعة والنشر.

د. بسيوني نحيلة

العمل الاجتماعي التطوعي في العهد النبوي نماذج من مشاركة الصحابة

يعد العمل الاجتماعي من سنن التعاون التي أسس الحق تبارك وتعالى عليها المجتمع كما أمر ذلك في قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة: 2). قال العلامة السعدي (المتوفى: 1376هـ) رحمه الله: أي ليعن بعضكم بعضاً على البر، وهو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة من حقوق الله وحقوق الآدميين"(1) ولقد ضرب مجتمع النبوة أروع الأمثلة في بناء المجتمع القائم على التعاون والتضامن، مصداقا لقوله تعالى: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (الحشر: 9). وذلك بفضل بنائه العقدي والإيماني الذي يجعل من كل فرد أمة وحده على نحو ما خلد القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، قال الحق سبحانه: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله﴾ (النحل: 120)، قال الإمام القرطبي (المتوفى: 671هـ) رحمه الله: "والأمة: الرجل الجامع للخير"(2).

1 - نماذج من مشاركة النبي عليه الصلاة والسلام في العمل الاجتماعي:

إن المتأمل في كتب السيرة يلاحظ أن سمات الجود والكرم، خلقت مع النبي عليه الصلاة والسلام منذ نشأته، فقد فاق كل كرماء العرب والعجم في الكرم والسخاء، ووصفه بذلك كل من عرفه، فعن ابن المنكدر أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: "ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا"(3)، قال الإمام النووي: "في هذا كله بيان عظيم سخائه، وغزارة جوده ﷺ ومعناه ما سئل شيئا من متاع الدنيا"(4). ومن مشاركاته ﷺ:

● مشاركته وهو غلام مع بني عمومته في حلف الفضول قبل بعثته:

وقد شارك عليه السلام في هذا الحلف وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره، وهو ما يبين تعلقه ﷺ بمثل هذه الأعمال منذ صغره، قال محمد بن إسحاق: "تداعت قبائل من قريش إلى حِلْف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان، لشَرَفه وسِنّه، فكان حِلْفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطّلب، وأسد بن عبد العزّى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرّة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكّة مَظْلومًا من أهلها وغيرهم -ممَّن دخلها من سائر النَّاس- إلا قاموا معه، وكانوا على مَن ظَلَمه حتى تُرَدَّ عليه مَظْلمته، فسمَّت قريش ذلك الحلْف: حِلْف الفُضُول"(5). وقد كان الهدف الأسمى إذن من عقد هذا الحلف بين القبائل هو تعاهدهم على ما فيه مصلحة الأمة، من تحقيق الأمن الاجتماعي والاستقرار النفسي لكل مقيم ووارد على مكة المكرمة، فاتفقوا على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا دخلها من سائر الناس، إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فكان للنبي منه نصيبه من فضل المشاركة فيه قبل البعثة.

● مشاركته ﷺ في بناء الكعبة ووضعه الحجر الأسود في مكانه قبل بعثته:

وكانت مشاركته ﷺ في بناء الكعبة قبل بعثته، حين كان عمره خمساً وثلاثين سنة أي حين اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة المشرفة لما أصابها من تصدع جدرانها، وكانت لا تزال كما بناها إبراهيم عليه السلام رضما (حجارة) فوق القامة، وقد شارك النبي ﷺ وعمه العباس في بناء الكعبة وكانا ينقلان الحجارة، جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك، فخر إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء، فقال: «أرني إزاري» فشده عليه"(6)، كما نال عليه السلام شرف وضع الحجر الأسود في موضعه من الكعبة المشرفة.

● مشاركته ﷺ في بناء المسجد النبوي:

يعتبر بناء المسجد النبوي أول عمل قام به النبي ﷺ لما نزل المدينة المنورة، وذلك لاعتبار المسجد مكان اجتماع المسلمين على أمور دينهم ودنياهم ومكان وحدة صف الأمة ولم شملها، ففيه تجتمع الأمة لاتخاذ القرارات الحاسمة في جميع الأمور، وفيه يتم جمع الأموال للجهاد ولمساعدة المحتاجين، وإيواء فقراء المسلمين، وقد ظل النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم يعمل في بناء المسجد من اللحظة الأولى إلى أن انتهى بنيانه، فأقام فيه الصلوات وخطبة الجمعة، فهو **بذلك يعلمنا عليه الصلاة والسلام أن نكون عمليين في كل أمورنا، وأن نشارك في كل المناسبات التي تخص المساجد، وما تحتاج إليه من تنظيف دائم واهتمام بفرشه وأثاثه، ورعاية مستمرة لجميع مرافقه.**

2 - نماذج من إسهام الرعيل الأول في تنمية العمل الاجتماعي:

يعتبر جيل الصحابة الكرام المثلَ الأعلى في الفهم الصحيح لنصوص كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ، وحُسن أخذهم بالإسلام فتربوا على صور وأنواع الخير، فكانوا لا يفرِّقون بين فرض ونفل وتطوُّع في الامتثال والعمل.

وكانوا يتلقون جميعَ أحكام الإسلام المفروضة والمسنونة على حدٍّ سواء فكانوا جيلا فريدا لم يظهر مثله في التاريخ.

● أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عُرف بين الصحابة في سبقه إلى فعل الأعمال التطوعية من خلال مجموعة من المواقف أورد منها.

- إيثاره بإنفاقه ماله كله، في مواقف متعددة في سبيل الله تعالى منها.
- دعمه ومساندته للفقراء والأرامل وتقديم العون لهم.

● عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الصحابي الذي كان يحرص على فعل الطاعات والخير وحرصه بنفسه على تقديم الخير والدعم للآخرين ومن مواقفه:

- دعمه ومساندته للفقراء والثكالى والأرامل وتقديم العون لهم.
- توسعته رضي الله عنه للمسجد الحرام سنة (17هـ)، عندما أفسد سيل (أم نهشل) مبانيه.

حقيقة الصلاة وأثرها في الحياة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره...

عباد الله: إن من أعظم مظاهر تقوى الله وطاعته والاستجابة لأمره والنجاة من الخزي والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة إقامة الصلاة والمحافظة عليها، فما هي مكانة الصلاة في الدين؟ وما جزاء المصلين؟ وما هي عقوبة الذين يتركون الصلوات؟

أولا: مكانة الصلاة في الإسلام:

● الصلاة عمود الدين وأساسه فكيف يكون دين العبد وهو تارك للصلاة؟، قال رسول الله ﷺ: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة».

● الصلاة ركن عظيم من أركان الإسلام جاءت بعد الشهادتين، قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان» (رواه البخاري).

● وهي أول العبادات التي فرضت على النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

● وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»، (صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي).

● والصلاة آخر وصية وصى بها رسول الله ﷺ عند مفارقة الدنيا قائلا: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم».

● وقد جعل الله تعالى للصلاة وقتا محددا معلوما: قال ﷻ: ﴿إن الصلاة كانت على المومنين كتابا موفوتا﴾ (النساء: 103).

● وأمرنا سبحانه بالمحافظة عليها: وقال تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ (البقرة 238).

ثانيا: خطورة وعقوبة إضاعة الصلاة والتهاون فيها:

أيها المسلمون لقد عرفنا مكانة الصلاة ومنزلتها في دين الله ﷻ فما بال العباد يضيعون الصلوات ويتركونها ويهجرون الجمع والجماعات؟، فيجتمعون في الملاهي والمنكرات ويتركون الصلوات؟، يستجيبون للأفلام والمسلسلات ويتكاسلون في أداء الصلوات؟ ينشطون لمشاهدة المباريات والبطولات الرياضية ويتثاقلون في أداء الصلوات؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله، هل يعرف أولئك جميعا عقوبة ترك الصلاة والتهاون فيها؟

عباد الله: إن ترك الصلاة ذنب عظيم، بل إن رسول الله ﷺ قد قرن بين ترك الصلاة والكفر أو الشرك والعياذ بالله فقال ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» (أخرجه أحمد)، وقال النبي ﷺ أيضا: «بين الرجل والكفر أو الشرك ترك الصلاة» (أخرجه مسلم).

- ترك الصلاة يوجب غضب الله تعالى: قال النبي ﷺ: «من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان» (أخرجه البزار).

- وتوعد الله جاحد الصلاة بالعذاب الأليم يوم القيامة: قال تعالى حكاية عن جواب الكفار حين يسألون: ﴿ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين﴾ (المدثر: 42-43).

- الويل والثبور لمن أخر الصلاة عن وقتها: قال تعالى: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ (الماعون: 5).

- ترك الصلاة والكسل في أدائها من علامات النفاق: أخبر النبي ﷺ أن ذلك من علامات النفاق بقوله: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا». (رواه البخاري ومسلم).

- الوعيد الشديد لمن أضاع الصلاة: قال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا﴾ (مريم: 59).

الخطبة الثانية:

أما بعد: عباد الله إذا كان العذاب الأليم والخزي العظيم جزاء من أضاع الصلاة وغفل عن الأوقات واتبع الشهوات فإن الله أعد للمصلين رفع الدرجات وتكفير السيئات والزيادة في الخيرات، ويتجلى ذلك:

- أولا: تكفير السيئات ورفع الدرجات:

فإن الله تعالى يرفع درجات المصلين ويمحو خطاياهم: قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه؟». قالوا: لا يبقى من درنه، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحوا الله بهن الخطايا» (متفق عليه).

- ثانيا: الإكرام بضيافة الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح» (متفق عليه).

- ثالثا: قرب العبد من الله تعالى:

إن المصلي يكون قريبا من الله تعالى يستجيب له ربه ويحفظه ويفرج كرباته قال تعالى: ﴿واسجد واقترب﴾، وقال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».

- رابعا: البعد عن الفحشاء والمنكر: فالمصلي يحفظه الله تعالى من الوقوع في الفحشاء أو المنكر: قال تعالى: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (العنكبوت: 45).

- خامسا: الشعور بالراحة والسكينة: فذكر الله عموما -والصلاة ذكر لله- يوجب الشعور بالطمأنينة والسكينة قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ لذلك كان رسول الله ﷺ يجد لذة السكينة وطعم الراحة في صلاته فيقول ﷺ لبلال «أرحنا بها يا بلال» (أخرجه الطحاوي).

رابعا: شروط أساسية في الصلاة:

عباد الله لكي نفوز بهذه الفضائل والمكرمات وننال رفعة الدرجات لابد من شروط أساسية نتخلق بها في الصلاة، من هذه الشروط:

- أن تكون الصلاة في جماعة لمضاعفة الأجر

- أن تكون الصلاة في لباس نظيف: قال تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ (الأعراف: 31).

- أن نحافظ على أوقات الصلوات وخصوصا صلاة الفجر.

- أن نأتي المساجد بتأنٍّ وسكينة ووقار.

- تجنب المشوشات أثناء الصلاة.

- الخشوع في الصلاة والاجتهاد في ذلك.

- أن يرى أثرها على العبد خارج الصلاة من الأمانة والخير واجتناب الموبقات.

صلاة الخاشعين:

عباد الله: مما يعين على إتقان الصلاة والخشوع فيها ذكر سير الصالحين في الصلاة، ومن هذه السير مثلا:

- سيرة ابن الزبير فقد كان رضي الله عنه إذا قام إلى الصلاة فكأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره، لا تحسبه إلا جذعاً أو حائطا.

- وكان مسلم بن يسار لا يلتفت في صلاته، ولقد انهدمت ناحية المسجد ففزع لها أهل السوق فما التفت.

- وسئل حاتم الأصم عن صلاته فقال: أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت على رأسي وأظنها آخر صلاتي ثم أكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وسجودا بخشوع ثم أسلم ولا أدري أقبلت صلاتي أم لا.

فاللهم اجعلنا من المصلين وثبتنا على الصراط المستقيم....

د. حميد الهراوي

● **عثمان بن عفان** رضي الله عنه: عرف قبل إسلامه بالتجارة والثراء، فكان في الإسلام جواداً مبادراً، لم يبخل يوما عن الإسلام وفقرائه بما منحه الله من المال.

- كان خير معين للفقراء والأيتام والأرامل، فلما أحس بندرة الماء العذب، اشترى بئر رومة من صاحبه الذي كان يُبيع ماءه بالثمن الذي لم يكن من مقدور الفقراء والمساكين.

● **طلحة بن عبيد الله** رضي الله عنه: أحد السابقين الأولين في الإسلام، يلقَّب بالفيَّاض، لكثرة سخائه، قال أبو نُعيم أيضا: عن طلحة بن يحيى، عن سُعدى بنت عوف قالت: كانت غلّة طلحة كل يوم ألفا وافيا، وكان يسمى طلحة الفيَّاض".

وقد وصفه السائب بن يزيد بكثرة العطاء وسخاء الجود قال: "صحبت طلحة بن عبيد الله في السفر والحضر فلم أخبر أحدا أعم سخاء على الدرهم والثوب والطعام من طلحة"(7).

وهكذا، فإننا اليوم مطالبون أكثر من أي وقت مضى أن نستلهم الدروس والعبر من منهج الرسول ﷺ وصحبه والتابعين لهم، تلكم النماذج المضيئة العطرة من المتطوعين الذين؛ عُرفوا في ميادين كثيرة ومتعددة في مجال التطوع، فكانوا بحق قدوة تحتذى ومصابيح يستنار بها على مدى الأيام، قدموا المثال الحسن في غرس قيم حب العمل الاجتماعي في نفوس الناشئة والصبية كي يتشبعوا بها وينشروا في مجتمعاتهم قيم الحب والرفق والإحسان إلى الآخر، ببذل الجهد للتطوع قدر المستطاع في كل ميادين الحياة، ضاربين بسهم في كل مضمار، حتى تتحقق لهذه الأمة نهضتها وتقدمها وفق تعاليم ديننا الحنيف وتوجيهاته.

ورحم الله أبا الفتح البستي إذ يقول:

أحسن إلى النـاس تستعبد قلوبَهُم
فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسـانُ

وكُنْ على الدّهر معْوَانًـا لذي أمل
يرجو نَـداكَ فـإنّ الـحُرَّ معْـوانُ
واشْدُدْ يديك بحبـل الله معتصمًا
فأنّـه الرّكنُ إنْ خانتـك أركـانُ
من كان للخير منّاعًا فليس لـه
علـى الحقيـقة إخـوانٌ وأخْـدانُ
من جاد بالمال مالَ النّاسُ قاطبةً
إليـه والـمالُ للإنسـان فـتّـانُ

---

1 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة: الأولى 1420هـ 2000- م، مؤسسة الرسالة.:ج1 218/.

2 - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م: ج10 197/.

3 - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه:ج4 484/.

4 - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392: ج 15 71/.

5 - السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م: ج 1 133/.

6 - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الحج باب فضل مكة وبنيانها: ج 1 674/.

7 - الطبقات الكبرى لابن سعد (المتوفى: 230هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م: ج3 167/.

الباحث: الحسين أرضى

نصـــوص الإعجـــاز القرآنـــي (10)

تُعنى هذه الزاوية بجمع ما تناثر من نصوص الإعجاز القرآني في غير مصادره المتخصصة، وما تناثر في هذه المصادر لكن لغير مؤلفيها، كما تُعنى بتصنيفها حسب تاريخ وفاة أصحابها، وذلك خدمة لمكتبة هذا العلم، وفتحا لآفاق جديدة للبحث فيه، ومحاولة لإقامة (الموسوعة التاريخية لنصوص الإعجاز القرآني في التراث العربي).

(تتمة نصوص الطبري (ت310 هـ))

(2)

«القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ (البقرة: 23).

قال أبو جعفر: وهذا من الله جل ثناؤه احتجاج لنبيه محمد ﷺ على مشركي قومه من العرب ومنافقيهم، وكفار أهل الكتاب وضلالهم الذين افتتح بقصصهم قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: 6) وإياهم يخاطب بهذه الآيات، وضرباءهم يعني بها.

قال الله جل ثناؤه لهم: (وإن كنتم) أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين، إن كنتم في شك، وهو الريب، (مما نزلنا على عبدنا) محمد من النور والبرهان وآيات الفرقان، أنه من عندي، وأني الذي أنزلته إليه، فلم تؤمنوا به ولم تصدقوه فيما يقول، فأتوا بحجة تدفع حجته؛ لأنكم تعلمون أن حجة كل ذي نبوة على صدقه في دعواه النبوة أن يأتي ببرهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق. ومن حجة محمد على صدقه، وبرهانه على نبوته، وأن ما جاء به من عندي، عجزُ جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم عن أن تأتوا بسورة من مثله.

وإذا عجزتم عن ذلك وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والذَّرابة، فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز. كما كان برهان من سلف من رسلي وأنبيائي على صدقه، وحجته على نبوته من الآيات ما يعجز عن الإتيان بمثله جميع خلقي.

فتقرر حينئذ عندكم أن محمدا لم يتقوله ولم يختلقه؛ لأن ذلك لو كان منه اختلاقا وتقولا لم تعجزوا وجميع خلقي عن الإتيان بمثله؛ لأن محمدا لم يَعْدُ أن يكون بشرا مثلكم، وفي مثل حالكم في الجسم وبسْطة الخلق وذرابة اللسان، فيمكن أن يُظن به اقتدارٌ على ما عجزتم عنه، أو يتوهم منكم عجز عما اقتدر عليه.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾.

فحدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: [...] يعني بذلك: من مثل هذا القرآن حقا وصدقا، لا باطل فيه ولا كذب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: [...] يقول: بسورة مِن مثل هذا القرآن.

حدثني محمد بن عمرو الباهلي، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى بن ميمون، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد: [...] مثل القرآن [...]

فمعنى قول مجاهد وقتادة اللذين ذكرناه عنهما، أن الله جل ذكره قال لمن حاجّه في نبيه محمد من الكفار: فأتوا بسورة مِن مثل هذا القرآن، من كلامكم أيتها العرب، كما أتى به محمد بلغاتكم ومعاني منطقكم.

وقد قال قوم آخرون: إن معنى قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾: من مثل محمد من البشر؛ لأن محمدا بشر مثلكم.

والتأويل الأول الذي قاله مجاهد وقتادة هو التأويل الصحيح؛ لأن الله جل ثناؤه قال في سورة أخرى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (يونس: 38). ومعلوم أن السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه فيجوز أن يقال: فأتوا بسورة مثل محمد.

فإن قال قائل: إنك ذكرت أن الله عنى بقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾: من مثل هذا القرآن، فهل للقرآن من مثل فيقال: ائتوا بسورة من مثله؟

قيل: إنه لم يعن به: ائتوا بسورة من مثله في التأليف والمعاني التي باين بها سائرَ الكلام غيرَه. وإنما عنى: ائتوا بسورة من مثله في البيان؛ لأن القرآن أنزله الله بلسان عربي، وكلام العرب -لا شك- له مثل في معنى العربية، فأما في المعنى الذي باين به القرآن سائر كلام المخلوقين، فلا مثل له من ذلك الوجه ولا نظير ولا شبيه.

وإنما احتج الله جل ثناؤه عليهم لنبيه محمد بما احتج به له عليهم من القرآن، إذ ظهر عجز القوم عن أن يأتوا بسورة من مثله في البيان؛ إذ كان القرآن بيانا مثل بيانهم، وكلاما نزل بلسانهم، فقال لهم جل ثناؤه: وإن كنتم في ريب من أن ما أنزلتُ على عبدي من القرآن من عندي، فأتوا بسورة من كلامكم الذي هو مثله في العربية؛ إذ كنتم عربا، وهو بيانٌ نظيرُ بيانكم، وكلام شبيهُ كلامكم. فلم يكلفهم جل ثناؤه أن يأتوا بسورة من غير اللسان الذي هو نظير اللسان الذي نزل به القرآن، فيقدروا أن يقولوا: كلفتنا ما لو أحسناه أتينا به، وإنا لا نقدر على الإتيان به؛ لأنا لسنا من أهل اللسان الذي كلفتنا الإتيان به، فليس لك علينا حجة بهذا؛ لأنا وإن عجزنا عن أن نأتي بمثله من غير ألسننا - لأنا لسنا بأهله - ففي الناس خلق كثير من غير أهل لساننا يقدر على أن يأتي بمثله من اللسان الذي كلفتنا الإتيان به.

ولكنه جل ثناؤه قال لهم: ائتوا بسورة من مثله؛ لأن مثله من الألسن ألسنُكم، وأنتم -إن كان محمد اختلقه وافتراه- إذا اجتمعتم وتظاهرتم على الإتيان بمثل سورة منه من لسانكم وبيانكم، أقدر على اختلاقه ورصفه وتأليفه من محمد ، وإن لم تكونوا أقدر عليه منه، فلن تعجزوا وأنتم جميعٌ عما قدَر عليه محمد من ذلك وهو وحيد، إن كنتم صادقين في دعواكم وزعمكم أن محمدا افتراه واختلقه وأنه من عند غيري».

[تفسير الطبري، 1/395-399]

د. الحسين زروق

ركن الحج
تجسيد للتعبد الحقيقي الشامل، ومشاهدة حية لأسرار الخلق البديع

إننا نعيش هذه الأيام نفحات ربانية، ومشاعر روحانية عالية، الأفئدة فيها يغمرها الشوق والحنين، والعقول معها يملؤها التأمل والحدس الدفين...، تسأل وتستفسر: من هدى العباد إلى عمارة البيت العتيق؟ ومن أرشد الخلق إلى إجابة نداء نبيه الخليل إبراهيم عليه السلام؟ ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ (الحج: 27 – 28) إجابة معها الإخبات والخشوع، والبكاء والخضوع...، بل إنها إجابة لم يصرف عنها -وهذا هو موطن العبرة والعظة- ما تنشره وتزخرفه وسائل الإعلام وغيرها عن أماكن اللهو والعبث، والراحة والاستجمام، والفن والمسرح...الخ.

إن الذي فعل ذلك كله هو أحكم الحاكمين ورب العالمين والمتحكم في قلوب خلقه أجمعين...

إن الحج ركن من أركان ديننا الحنيف كما هو معلوم" بني الإسلام على خمس..." ومنها "وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا"(رواه البخاري ومسلم)، وهو شعيرة من أعظم شعائر هذا الدين؛ وغير خاف أن تعظيم شعائر الله دليل على الطهر والصفاء، وعلى السمو والنقاء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: 32). والذي ينبغي لكل عاقل وعاقلة، أن يقوم به تجاه هذه الفريضة العظيمة، سواء كان ممن كتب له أداؤها والقيام بها، أو كان ممن يرجو ذلك ويأمل تحقيقه،... أن يقوم بالتأمل فيها، والتعرف على بعض أسرارها، فإن لها أسرارا عجيبة، وتتضمن آيات باهرة، لعل من أبرزها أنها تمثل:

● التطبيق العملي الميداني لمفهوم العبودية الحقيقية التي تعني مطلق الخضوع وتمام الانقياد للذي خلق هذه الأكوان سبحانه وتعالى وهو الله ﷻ. ففي هذا الركن العجيب ركن الحج، نجد الخضوع الكلي لله رب العالمين ﷻ، وذلك على عدة مستويات، إذ إن هناك خضوعا تاما وانشغالا عاما على مستوى العقل والقلب والبدن والمال، وعلى مستوى ما يُدرَك سره وما لا يُدرَك...؛ فتجد المرء العازم على الذهاب إلى أداء هذه الفريضة العظيمة، منشغلا عقله انشغالا كليا: يفكر في الذهاب وطريقته، وفي مفارقة الأهل والأحباب وتوديعهم، وفي الرفقة ونوعها، وفي أداء هذا الركن وطريقة القيام به، وفي العيش بالأماكن المقدسة وأسلوب التعامل معها، وفي الرجوع متى وكيف وبأي نتيجة يتم؟...إنه انشغال عجيب، لا يناظره إلا انشغال الروح والقلب بتلك الروحانية العالية، والتنافس التعبدي المبارك، انشغال ينسى معه الحاج أهله وأقاربه وماله كله، ويضحي من أجله، بخضوع بدنه كله ، فيتحمل مشاق السفر، والإقامة والزحام ونوع الأكل...، بل ويضحي بماله الذي يُخضعه هو الآخر إخضاعا كليا، فلا يبخل به، ولا يتردد في التضحية به مهما ارتفع واجب القيام بهذه الفريضة العظيمة...، إنه خضوع كلي وإخضاع كلي، سواء لما يدركه العبد ويفقه سره ووجه القيام به من تلك المناسك، أو لما لم يدركه منها، كسرِّ تقبيل الحجر الأسود ونحوه، فسبحان من هدى عباده إلى هذا ...

● يعد الحج، تفعيلا للأمر الرباني المرتبط بضرورة السياحة الربانية في الأرض، للتعرف على الآيات الكونية ، والاطلاع على الأسرار الربانية، المتجلية في شساعة هذا الكون، وفي تباعد أطرافه، وفي تسخير الله أرضه وسماءه وبحاره وخلقه كله لهذا المخلوق الضعيف وهو الإنسان... قال تعالى عن تلك السياحة المطلوب القيام بها: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (الحج: 46). وقال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (العنكبوت: 20).

● الحج أيضا فرصة مناسبة للحصول على مشاهدة حية، ورؤية واقعية لمصداق وواقع قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: 22) بفتح اللام وكسرها وقوله جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13). فالمرء يرى بأم عينيه كما يقال، أقواما عديدة، وألسنة مختلفة، وقامات متنوعة، وألوانا كثيرة عجيبة... لايسعه معها إن كان من العالمين إلا أن يقول: سبحان من خلق فأبدع، وأنشأ فأتقن ما صنع...

● أن الحج، يعد تجسيد حقيقي للتواصل الحضاري الهادف، وللترابط البشري البناء المبني على الكرامة والطهر والحياء، وليس على الميوعة والمكر وخداع البسطاء ...؛ فمعظم الشعائر التي يمارسها ويقوم بها الحاج، ترتبط بأب الأنبياء وإمام الموحدين إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام، ابتداء من النداء الأول الخاص بهذا الركن العظيم، ومرورا بالسعي بين الصفا والمروة، ووصولا إلى مختلف الشعائر التي يتم القيام بها فيه، قال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ (الحج: 27 – 28). وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (آل عمران: 96 - 97)، بل إن التواصل الحضاري، والترابط البشري، اللذين يعد ركن الحج تجسيدا لهما، هو تواصل وترابط أفقي وعمودي؛ أي أنه تواصل وترابط مرتبط بالتاريخ وبالحاضر...، بالتاريخ كما هو واضح من ارتباط هذا الركن العظيم بإمام الموحدين إبراهيم الخليل عليه السلام...، وبالحاضر كما هو بين من ذلك التواصل العجيب الغريب الذي يقع أثناء أداء هذه الفريضة المباركة مع أقوام عديدة، ذات ألسنة مختلفة، وقامات متنوعة، وألوان كثيرة عجيبة...

د. عبد الله طاهيري

إعجاز التشريعات الإسلامية في بناء المجتمع المثالي (10\7)

تشريع الطلاق في النظام الاجتماعي

شرع الله تعالى عقد الزوجية وأحله إصلاحا للأفراد وبناء للمجتمعات على أسس شرعية متينة، وراعى ما يعتور تلك الحياة الزوجية من متغيرات قد يتصدع بسببها هذا البناء ولا يصلح للبقاء والدوام، حتى يصل إلى تفضيل أحد الزوجين أو كلاهما الفرقة والطلاق على الدوام والاستمرار.

واقعية الإسلام في النظر إلى الحياة الزوجية:

معلوم أن من خصائص الشريعة الإسلامية "الواقعية" ومن تجليات الواقعية في الإطار الاجتماعي مراعاة أن بعض حالات الزواج قد لا تكلل بالنجاح؛ لأسباب تختلف من حالة إلى حالة، بعضها راجع إلى الأفكار والتصورات، وبعضها راجع إلى اختلاف في الطباع أو العادات والتقاليد، وقد ترجع إلى أمور مادية أو تصرفات إجرائية، هذا هو الواقع الذي لا يمكن تجاهله، وعندما تتوفر حالات يشق معها الحياة الزوجية أو تستحيل يكون المرء بين أمرين:

– إما أن يقبل كلا الطرفين أو أحدهما الطرف الآخر وهو كاره له، وحينئذ سيظل في ضغط نفسي يدفعه إلى إهماله أو ظلمه، وهذا يفقده معنى الحياة، ويجعله في صراع نفسي دائم يفقد معه معنى السعادة والاستقرار، وهذا لا شك يؤثر سلبا في كافة الأطراف الاجتماعية وقد قال المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد

– وإما أن يبحث الزوج أو الزوجان عن مخرج مناسب يحفظ عليهما وعلى الأولاد كرامتهم واستقرارهم، بأقل خسائر ممكنة، ولا يكون ذلك إلا بالفراق الشرعي "الطلاق".

ولا شك أن الثاني هو الحل المناسب الذي شرعه الإسلام وأباحه، وجعله مخرجا مناسبا: ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته﴾ (النساء: 130).

قال الشاشي في محاسن الشريعة (310): "وشرع للأزواج إباحة الطلاق، وذلك لا يقع إلا لسبب يحدث من المرأة أو من الزوج يدعو إليه، ووجه ما ذكرنا والله أعلم: من أن النكاح وإن كان المقصود فيه الاستدامة، فليس يؤمن حدوث ما يقتضي قطعها، أو يري الزوج بأن الصلاح فيه، فلا يكون لإجباره على إمساكها في هذه الحال معنى؛ لأن فيه إبطالا لما ينبني عليه النكاح من التآليف، ولعلهما إذا افترقا صلحت قلوبهما وتاقت منها أنفسهما إلى الاجتماع.

وقد يكون الملال هو المحدث بفساد الحال بينهما، فإذا تفرقا انطلقت موارد الملال، ونظرت بينهما الأحوال فمن تأمل هذا علم أنه يقرب إلى الطلاق من إكراههما على المقام على التباغض والتنافر".

الطلاق لا ينفك عن الأخلاق:

لأن شريعة الطلاق أخلاقية في إجراءاتها، أخلاقية في مقصدها ومآلها؛ ففي الإسلام لا تتصور الأخلاق قيما مجردة تقع في فضاءات غير عملية، لكنها قيم تتمثل في فضاء عملي تبرهن من خلاله على صدق إيمان صاحبها، وبخاصة وقت الشدائد والمحن والحالات غير الطبيعية.

ولأن الطلاق يقع غالبا عن بغض وكراهية وغضب كان لابد أن يحوطه سياج أخلاقي يتمثل في:

● رعاية التمهل والصبر وعدم العجلة من الزوج، قال تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ (البقرة: 229). وهنا نجد أن الطلاق لا يقع بكلمة واحدة كما وقع الزواج، فإن كان الزواج قد وقع بكلمة "زوجتك" من طرف، و"قبلت" من الطرف الآخر، فليس كذلك الطلاق، إذ الشرع فيه أن يقع على ثلاث مرات متفرقات دون تعجل، بحيث توجد فرصة للزوجين بعد كل مرحلة لإعادة التفكير، ومراجعة المشاعر والاحتياجات، وكذلك اشترط في الطلاق التمهل فلا يوقعه الزوج إلا في حالة معينة تكون عليها المرأة حيث لا حيض ولا طهر جومعت فيه ولا يكون ثلاثا، وحيثما وقع مخالفا لذلك كان بدعيا، يأثم فيه الزوج، وبعض الفقهاء لا يوقعه أصلا.

● رعاية الفضل والعشرة السابقة، ففي سياق الطلاق يؤكد الله تعالى على أخلاقية التصرف بأن يتذكر الزوجان الفضل بينهم، قال تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ (البقرة: 237). وهذا الفضل يحمل على معاني منها: "التعاطف" وهو قول الربيع، و"الصلة" وهو قول السدي، و"المعروف" وهو قول كثيرين، كما يحمل على "إتمام الزوج الصداق، أو ترك المرأة الشطر" كما عند مجاهد وغيره. وكل هذه أخلاقيات إجرائية في حالات يملؤها الغضب والنفور إلا أنها لا تنسي المسلم واجب رعاية الأخلاق.

● الإحسان: كما قال تعالى: ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾. وقوله: ﴿فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾.

● وأما من ناحية المقصد فهو حماية عامة لأخلاقيات المجتمع ككل بحيث لا يجبر المرء على البقاء مع زوجة يكرهها أو لا تناسبه، ولا تجبر المرأة على البقاء مع من لا تحبه، ولو أجبر أحد الطرفين على شيء من ذلك ألجأه ذلك إلى الوقوع في الزنا، فيفسد المجتمع ككل، وقد رأينا ذلك في المجتمعات التي تحرم الطلاق ولا تبيحه إلا لعلة الزنا كالمسيحية، في وقت تحرم فيه التعدد أيضا، والأدهى من ذلك أنه تحرم الزواج من المطلقة بعد طلاقها. ولا يخفى ما ينتجه ذلك من بحث عن متنفس لإرواء الشهوات في أبواب أخرى غير مشروعة، ولن يكون إلا الزنا، وكأنها بمخالفتها للفطرة في تشريعاتها، ومجافاتها الواقع في أحكامها، تدفع الرجال والنساء إلى فعل الفاحشة.

نظرة المجتمعات الحالية للطلاق والمطلقين في الحاجة إلى إعادة تصحيح:

ومن خطايا المجتمعات المسلمة في وقتنا الحاضر تلك النظرة الخاطئة للطلاق والمطلقين والتي يأباها الإسلام، حيث يعتبرون الطلاق شرا محضا، ويعترون أطرافه جماعة من الشريرين الفاشلين!!

ونحن نقول: إن الطلاق وإن كان هدما لبنيان قائم، لكنه في الحقيقة ليس هدما لبنيان صحيح صالح، وإنما هو هدم لبنيان قد تصدعت أركانه، وإن تنكيسه قبل أن يخر على رؤوس ساكنيه هو عين العقل والمصلحة، والطلاق متى كان لموجب قوي، وروعي فيه المنهج الأخلاقي في إجراءاته، كان كعملية جراحية تؤلم وقتا ما لكنها تفضي إلى صحة دائمة.

والطلاق شريعة ربانية ربما يفتح الله على كلا الطرفين اللذين تهاجرا وافترقا بحياة أسعد وأجمل وأكثر استقرارا من حياتهما الأولى النكدة، وقد شاهدنا أن الرجل المطلق قد يرزق بزوجة أخرى يرضاها ويسعد بها، وقد ترزق المرأة المطلقة برجل آخر ترضاه ويسعدها، وتلك حكمة الله وواقعية الحياة.

ومن خطايا الناس في النظر إلى المطلقين:

تلك النظرة التي تكون بعين الارتياب إلى المطلقين حيث يرفض المجتمع –في صمت– الزواج من المطلقات، ويتردد كثيرا في قبول الرجال المطلقين كأزواج، ولم يكن الأمر كذلك في عهد سلفنا الصالح، فقد كانت المرأة كثيرا مما تتزوج بمجرد انتهاء عدتها، وربما طلقت أكثر من مرة وتزوجت أكثر من مرة.

فعلى أهل العلم ورجال الإعلام تصحيح هذه المفاهيم لتقويم سلوكيات الناس، فليست المرأة المطلقة شريرة فاشلة لا تصلح لحياة زوجية بمجرد أن خاضت تجربة لم يكتب لها التوفيق فيها، وليس الرجل المطلق رجلا فاشلا لا يصلح لإقامة بيت صالح غير الذي لم ينجح فيه من قبل.

والخلاصة أن الطلاق رحمة فلا نحوله بجهلنا إلى عذاب.

د. أحمد زايد

الدكتور أحمد غلوش شيخ أساتذة الدعوة في مصر (سيرة ومسيرة)

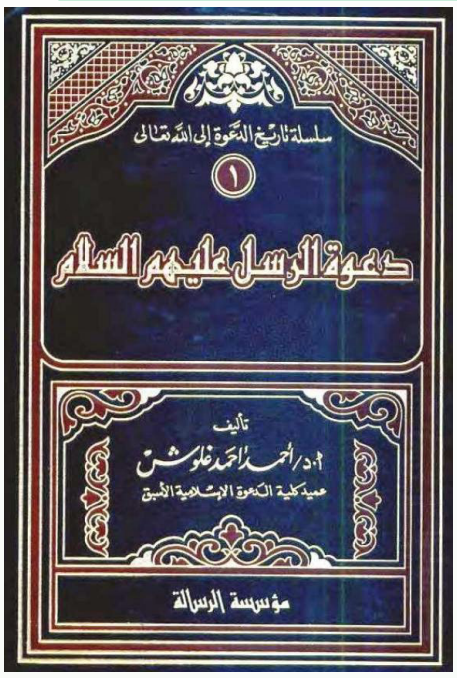

سأقف مع سيرة واحد من أعلام الدعوة الإسلامية بجمهورية مصر العربية، بل هو شيخ أساتذة الدعوة الإسلامية.

إنه الأستاذ الدكتور أحمد غلوش ولد في أكتوبر 1936م بقرية منية مسير بمحافظة كفر الشيخ شمال القطر المصري، التحق بكلية أصول الدين بالقاهرة (جامعة الأزهر الشريف)، ثم تخرج منها ليعمل إماما وخطيبا بوزارة الأوقاف مواصلا مشوار دراسته في الدراسات العليا ليحصل على درجة التخصص الماجستير، بعدها تم تعيينه أول معيد بقسم الدعوة الإسلامية بكلية أصول الدين، ثم واصل البحث والدراسة ليحصل على درجة العالمية الدكتوراه في موضوع: "الدعوة الإسلامية لتحقيق السعادة ونشر السلام، ووسائلها في القرآن الكريم" ليصير بعدها مدرسا بذات القسم، لتتم إعارته إلى جامعة الملك سعود بالرياض، وبعد انقضاء مدة الإعارة عاد ليتسلم عمله بقسم الدعوة بكلية أصول الدين، ثم رُقي بعد عدة سنوات إلى درجة أستاذ مساعد مما أهله ليكون أول رئيس لقسم الدعوة بكلية أصول الدين، ثم تم تكليفه من قبل إدارة الجامعة الأزهرية لإنشاء وتأسيس ووضع اللبنة الأولى في جدار صرح كلية الدعوة الإسلامية ليصبح أول عميد لها، لكنه ما لبث أن تمت إعارته للعمل بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة، والذي استقل فيما بعد ليصبح جامعة مستقلة هي جامعة "أم القرى"، وقد سعد الشيخ بالعمل في بداية الأمر تحت إمرة فضيلة الشيخ محمد الغزالي الذي كان رئيساً للقسم آنذاك، وكان إسهامه واضحاً في إنشاء كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، وتأسيس قسم الإعلام الإسلامي، وتعيينه أول رئيس له، مما رشحه لتقديم برنامج أسبوعي في "إذاعة نداء الإسلام" الذي كان يذاع من إذاعة جدة، وكان اسمه "مع الشباب"، وكان يسجل في مقر الإذاعة بمكة المكرمة يظل بها ما يربو على العشرين عاماً ليعود بعد هذه الرحلة العلمية الموفقة إلى جامعته (الأزهر الشريف).

مؤلفاته العلمية:

تميز فضيلته بالقلم السيال، والفكر العميق، وغزارة التأليف، مع وضوح الفكرة لديه فيما يعالج ويؤلف، مع التنويع فيما يكتب ما بين علم الدعوة، وفن الخطابة، والنظم الإسلامية، ومقارنة الأديان، حتى أتحف المكتبة العربية والإسلامية بمؤلفات علمية صارت مرجعا أساسيا لكل أساتذة وطلاب العلم ويكفي أن تدرك أنه قلما تقع عينك على كتاب في تخصص الدعوة الإسلامية إلا وتجده قد اعتمد على كتاب فضيلته الموسوم (الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها من القرآن الكريم)، ويصدق نفس الأمر على كتابه (قواعد علم الخطابة وفقه الجمعة والعيدين).

التفت فضيلته إلى الربط بين السيرة النبوية والدعوة الإسلامية فأخرج للمكتبة الإسلامية سفرين ماتعين هما:

1 – السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي.
2 – السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني.

ثم طوف فضيلته في رياض سير الخلفاء الراشدين الأربعة ليخصص لكل خليفة منهم سفراً رائعاً يتناول فيه حياته وعصره ومواقفه الدعوية، وقد جاءت عناوينها على النحو التالي:

1 – القول الدقيق في سيرة وعصر الصِّديق.
2 – نظم الدرر في سيرة وعصر عمر.
3 – حسن البيان في سيرة وعصر عثمان.
4 – القول الجلي في سيرة وعصر علي.

أما مجال النظم الإسلامية فقد أخذ جزءاً –لا بأس به– من اهتمام شيخنا، حيث ألف موسوعة النظم الإسلامية وقدَّم لها بكتابه (المدخل لدراسة النظم) ثم توالت أجزاء الموسوعة بعد ذلك لتكون تحت هذه العناوين:

1 – النظام السياسي في الإسلام.
2 – النظام الاقتصادي في الإسلام.
3 – النظام الاجتماعي في الشريعة الإسلامية.

لقد ركز فضيلته في سائر مؤلفاته على ربطها بالدعوة الإسلامية واستخراج الدروس والعبر المستفادة لأركان الدعوة الإسلامية، ووضع هذه الدروس تحت عنوان "ركائز الدعوة"، وهذا عمل بارز في سائر مؤلفاته.

ويكفي للتدليل على ذلك قيامه بإتحاف المكتبة الإسلامية بأول تفسير للقرآن الكريم يُعنى بالناحية الدعوية، وسماه "ركائز القدوة في تفسير الدعوة" لعلني أقف معك أخي القارئ في مقال لاحق لأوضح لك المنهج الذي التزمه الشيخ في هذا السفر العظيم الذي شغل أربعة عشر مجلداً.

ونفس الأمر فعله مع أحد كتب السنة المشهورة والمرموقة وهو كتاب (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) حيث قام بشرح هذه الأحاديث شرحاً دعوياً ماتعاً، وسماه (ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان)، وقد شغل هذا العمل –الذي يُذكر فيُشكر– تسع مجلدات.

كما كانت لشيخنا إسهامات لا بأس بها في مجال الشعر والأدب فأخرج ديوانه "خيال الروح في زمن الصبا".

أما في مجال الأديان والمذاهب الإسلامية، فكان له عمل رائع، حيث أخرج الموسوعة القيمة "موسوعة الأديان والنحل دراسة موسوعية للأديان والمذاهب".

وعند آخر زيارة لي لفضيلته سعدت برؤية أحدث مؤلفاته والذي قص علينا فيه محطات بارزة في حياته منذ طفولته ونعومة أظفاره وحتى ختام العقد الثامن من عمره –متعه الله بالصحة وموفور العافية– وأطلق عليه "ذكريات عند الثمانين".

أيها القارئ الكريم أعدك أن لا تكون هذه نهاية حديثي إليك عن هذا الجبل الأشم، والنجم الساطع في سماء الدعوة الإسلامية، فسوف أقف معك مرات قادمة لأروي لك بعض محطات من حياته علك تستفيد منها في حياتك، فتجارب السابقين زاد نافع في مسيرة الحياة.

د. عطية السيد العادلي

هدي عقيدة القرآن في بناء المجتمع (1)

أ– مكانة العقيدة في النظم الاجتماعية الإسلامية:

الإسلام نسق من الأنظمة الربانية القاصدة إلى بناء الإنسان، وفق نمط معين، مصدر هذه الأنظمة القرآن الكريم وعمودها النظام العقدي إذ لا يمكن بحال تصور بناء مجتمع إسلامي دون جعل النظام العقدي محور النظم الأخرى المكونة لهذا النسق فهي الركن الركين الذي به تكون هذه النظم، والمعيار الذي به توزن، والروح الذي به تحيى.

وبما أن البناء يستمد قوته من أساسه، فإن أي خلل يصيب هذا الركن تظهر أعراضه المرضية في الفرد والمجتمع، وإن لم تعالج هذه الأعراض تحولت إلى مرض عضال تصيب عدواه النظم الأخرى.. ذلك أن السلوك البشري الذي هو مدار الحياة الاجتماعية مصدره الأفكار والتصورات العقدية وهذه مبعثها الاعتقاد الذي يمثل الفكرة الأولى للإنسان فيما هو خارج عن حاجته، ذلك أن أعمال العاملين تجري حسب معتقداتهم وأفكارهم، وجدير بمن صلحت عقيدته وأفكاره أن تصدر عنه الأعمال الصالحة في شأنه كله، ولهذا كان أسلوب القرآن الكريم وعادته في الأمر بالأعمال أن يؤسس لها بالإيمان ويقيدها بالعمل الصالح(1)، والآيات في ذلك كثيرة جدا.

وعليه يمكن أن نقرر أن العقيدة هي الأساس الذي تقوم عليه جميع الأنظمة الاجتماعية القرآنية، ومن المستحيل مثلا أن نفصل نظام الحكم في الإسلام عن عقيدة القرآن التي تعتبر الحاكم عبدا لله اختير ليسوس الجماعة الإسلامية بالتشاور مع أفرادها، أو نظام الاجتماع الذي بني في هذه العقيدة على أخوة الإيمان وتكافؤ الدماء، وأن الاقتناع بعدم الفصل ذاته لا يحصل إلا إذا انبثق عن تصور كامل للوجود وخالقه والإنسان ومهمته في الحياة والمقصد من وجوده إذ على هذا الاقتناع وما ينشأ عنه من مفاهيم وتصورات تتأسس المواقف والمبادئ ويتحدد السلوك، ولقد تولى القرآن الكريم تفصيل القول في ذلك، وأولاه اهتماما خاصا مبنيا على الحجج العقلية والبراهين الكونية قصد تحقيق اعتقاد صحيح وتصور سليم للوجود وخالقه(2).

ولمحورية العقيدة كانت هي أول ما اهتم به قول القرآن الكريم وهو يؤسس دولة الإسلام الأولى وعلى النهج ذاته سارت الحركات الإصلاحية الجادة في تاريخ الإسلام لما اتخذها منطلقا أساسيا لتغيير الواقع الاجتماعي المتأزم اجتماعيا أو سياسيا أو أخلاقيا، للتصحيح أو للإحياء والتجديد.

بل إن منهج القرآن الكريم في تقرير نظمه الاجتماعية تميز بربط هذه النظم بنظام العقيدة وتأسيسها عليه في كل مراحل النزول إلى إكمال الدين.

وأضرب لذلك أمثلة:

1 – في نظام الحكم والسياسة والاستخلاف المتمكن بقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا..﴾ (النور: 55). وقوله تعالى: ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم﴾ (الشورى: 15) وذلك في سياق إقامة الدين والتوحد على نظمه إقامة لأمة الإسلام.

2 – في ضبط العلائق الاجتماعية بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ (المائدة: 1)، وبقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط﴾ (المائدة: 8).

3 – في نظام الأسرة بقوله تعالى: ﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يومن بالله واليوم الآخر﴾ (البقرة: 228). وقوله تعالى: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ (الطلاق: 2).

وفي التعقيب على جملة من السلوكات المشينة بالمجتمع وعلائقه، كنقض المواثيق واستحلال الدماء والأعراض والتظاهر على الإثم والعدوان والإيمان ببعض الوحي والكفر ببعضه، والاستكبار، والتكذيب، نجد قوله تعالى ﴿قل بئس ما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مومنين﴾ (البقرة: 90) وعلى هذا المنوال بني منهج القرآن في البيان وبناء المجتمع؛ ليسوق الإيمان والتشريع بالبرهان الذي يملك من القلب مواقع التأثير ومسالك الوجدان ليتوجه العقل ويتحرك القلب في إطار العقيدة. ولذلك جعل القرآن العقيدة وحدها هي الآصرة الأساس التي يقوم عليها مجتمع الإسلام؛ فهي الرابطة وهي القومية وهي العصبية(3).

ب – الهدى الاجتماعي في عقيدة التوحيد:

للعقيدة القرآنية كليات ترجع إليها وهي التوحيد والرسالة واليوم الآخر وهي القضايا الإيمانية الكبرى التي أقام عليها القرآن نظامه الاجتماعي. وتوحيد الله عز وجل هو القاعدة الأولى التي يقوم عليها التصور الإيماني في القرآن وهي أُسُّ نظمه الاجتماعية، وهي مفرق الطرق بين النظام والفوضى، وبين تحرير البشرية من عقال الأوهام والسلطان الزائف وبين استعبادها للأرباب المتفرقة ونزواتهم، لذلك كان هذا الحكم الرباني الحاسم في قوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ (النساء: 48).

ومما جاء في تفسيرها: "أن الشرك منتهى ما تهبط إليه عقول البشر وأفكارهم ونفوسهم ومنه تتولد جميع الشرور والخسائس التي تفسد البشر في أفرادهم وجمعياتهن، لأنه عبارة عن رفعهم للمخلوقات إلى مرتبة التقديس بدافع الشعور بأنها ذات سلطة عليا فوق سنن الكون وأسبابه، وهذا السلوك من وجهة اجتماعية كان سبب استبداد واسعباد كثير من الأقوام والتصرف في أموالهم وأنفسهم ومصالحهم ومنافعهم.

والتوحيد الذي يناقض الشرك هو عبارة عن إعتاق الإنسان من رق العبودية... بكل شيء وجعله حرا كريما عزيزا، لا يخضع خضوع عبودية مطلقة إلا لمن تخضع الكائنات جميعها لسلطانه، بما أقام فيها من نظام ربط الأسباب بالمسببات(4).

وإن الخلط الذي أصاب كثيرا من الأمم والجماعات على مر العصور البشرية في معنى التوحيد كان السبب الأول والأعظم في الانحراف السلوكي والتدهور الاجتماعي والعمراني والانتكاس السياسي والحضاري عند التخلي عن مضمون قول الله تعالى: ﴿ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله﴾ (هود: 1-2).

إذ ما من نظام اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي أو أخلاقي يقوم أو يستمر، على أسس واضحة فاصلة ثابتة لا تخضع للهوى والتأويلات المغرضة. إلا حين تستقر عقيدة التوحيد بسيطة دقيقة في كل مفاصله.

وعقيدة التوحيد التي احتلت حيزا كبيرا في الخطاب القرآني وشغل تقريرها في نفوس المؤمنين الأول غالب حقبة التنزل القرآني هي بطبيعتها الربانية لا تتحقق إلا بالتمثل العلمي في المجتمع الذي يعتنقها اعتقادا وسلوكا عمليا مستمدا من نظم الشريعة التي تأبى بطبيعتها التكليفية والموضوعية أن تبقى مجرد نظرية في ذهن الأفراد، في أي كيان اجتماعي.

ولهذه المكانة التي لعقيدة التوحيد في البناء الاجتماعي كما حددها القرآن اعتبر المحققون من علماء الإسلام توحيد الله تعالى منتهى الكمال المزكي للنفس والمجتمع، والشرك به سبحانه منتهى النقص والفساد المدنس للفطرة والمجتمع(5).

---

1 – لمزيد تفصيل انظر أهوال النظام الاجتماعية في الإسلام 51 للطاهر ابن عاشور طبع مصنع الكتاب– تونس.

2 – مثلا الآية: 20–21–22–164 من البقرة، والآية: 18–190 من آل عمران، والآية: 61–62–63–64–65–66 من النمل إلخ..

3 – ن. تفسير الظلال، 5/274.

4 – ن. تفسير المنار، 5/ 148–149.

5 – تفسير المنار: 497/1 للدكتور محمد عبد الله دراز دراسة رائعة في إثبات النبوة والرسالة من القرآن الكريم ذاته.

د. محمد السيسي

المجلس العلمي بالناظور ينعي الأستاذة سعيدة بلوقي

في رسالة توصلت بها جريدة المحجة نعى المجلس العلمي المحلي للناظور العالمة الجليلة الأستاذة سعيدة بلوقي شملها الله برحمته وعفوه التي انتقلت إلى رحمة الله وعفوه يوم عيد الفطر 1438هـ، وقد شيعت جنازتها بعد ظهر ثاني العيد من مسجد أولاد إبراهيم بالناظور إلى مثواها الأخير بمقبرة سيدي سالم بالناظور.

ومما جاء في الرسالة أن "الأستاذة سعيدة بلوقي انخرطت في المجال الدعوي منذ نعومة أظافرها وواصلت مسيرتها مع جموع من الطالبات والتلميذات بالثانوية ثم بالجامعة. وتشرب قلبها هموم الأمة وثوابتها ومقدساتها، وحب بلادها ووطنها ولذلك التحقت برابطة علماء المغرب –كما كانت تسمى آنذاك– وسجلت نفسها كفاعلة في حقلها ومجالها مشاركة في أنشطتها بقوة وفتوة نادرين. ونظرا لأنشطتها المتميزة نودي عليها لتكون واعظة رسمية من طرف المجلس العلمي بالناظور، وأبلت البلاء الحسن منذ أكتوبر من عام 2009 وإلى آخر رمق من حياتها عندما فاجأها الأجل المحتوم يوم صبيحة عيد الفطر السعيد".

كما نوه السيد رئيس مجلس العلمي الأستاذ ميمون بريسول بالصالحات من أعمالها المتنوعة وسيرتها العطرة من حياتها كمدرسة وواعظة، وفاعلة جمعوية بامتياز.

مذكرا بخصالها الأخلاقية حيث " كانت امرأة طيبة القلب، جميلة النفس، جمالها تضفيه على من حولها من اليتامى والأرامل وذوي الحاجات والاحتياجات الخاصة، تنفق من وعائها وجرابها المتلئة بالخير، فلا تراها إلا مبتسمة ولا تجدها إلا في حقل النفع"

وفي المجال العلمي كانت الفقيدة كما يقول الأستاذ ميمون بريسول" تملك جرأة زائدة في طرح قضايا فكرية تنتصر لها من قضايا حب الوطن وحب الأرض، وتنافح باستماتة عن ثوابت الأمة وأصولها وعقيدتها ونظامها ومذهبها وهويتها.

وفي المجال التربوي والتعليمي ذكر بخصالها الحميدة في حب الخير للتلاميذ حيث "قضت حياتها وأنهتها في خدمة التربية والتعليم، أستاذة لأجيال غرفوا من معينها، وتفقهوا من فقهها، وتربوا في أحضانها" إلى حد أن "الأمهات ومعهم الآباء يحرصون على أن تكون سعيدة أستاذة لأبنائهم وبناتهم، لتجربتها ونزاهتها، وصدقها وإخلاصها وفعاليتها في العمل"

ونسأل الله تعالى أن يتغمد الفقيدة بواسع مغفرته وعظيم فضله، ووافر رحمته، وأن يرزق أهلها الصبر الجميل وأن يخلفهم في مصابهم خيرا منها. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

بعض القواعد الضابطة لجعل الاختلاف رحمة (3)

الدكتور عصام البشير

تناول الدكتور في الحلقة السابقة جملة من القواعد الضابطة للاختلاف ، ويواصل في هذه الحلقة الحديث عن هذه الضوابط قاصدا من ذلك نقل الأمة إلى تدبير الخلاف تدبيرا شرعيا يحق لها الوفاق والائتلاف .

القاعدة السابعة: الكف عمن قال لا إله إلا الله:

فكل من قال لا إله إلا الله فقد دخل الإسلام بيقين. واليقين لا ينتقل الإنسان منه إلا بيقين مثله أو أقوى منه، لا يخرج منه بالظن، ولا بالوهم، ولا بالخرص، ولا بالحدس، ولا بالشك. فالتساهل في إيقاع التكفير بالمخالف في قضايا تحتمل أكثر من وجه في التفسير عقبة كؤود لا يقع فيها إلا من لا يبالي بدينه. ولذلك الحذر، الحذر من الوقوع في ذلك التكفير، والتضليل والتفسيق والتبديع والتجهيل بالنسبة للمخالف، فالله سبحانه وتعالى ما نصبنا قضاة على الناس، نحن دعاة ولسنا قضاة، هداة ولسنا جباة، ولاة ولسنا قساة، مهمتنا البلاغ، مهمتنا ﴿فذكر بإنما أنت مذكر﴾، مهمتنا أن نهدي بمعنى: أن ندل الناس على طريق الخير دلالة بالبيان، ودلالة بالعمل والسلوك والحال. فمن بعد ذلك، نترك فصل القضاء لله رب العالمين.

القاعدة الثامنة: قاعدة العدل والإنصاف مع الموافق والمخالف:

في حالة الحب وفي حالة البغض، في حالة الولاء وفي حالة البراء، العدل في كل حال، وانظر لأهل السنة في تاريخهم كيف تعاملوا. كلكم تعلمون أن الخوارج ضلوا الطريق، خرجوا عن جماعة المسلمين، سفكوا الدماء، كفروا الصحابة، استحلوا الدماء، ومع ذلك كان الإنصاف عند الإمام علي رضي الله عنه فقد سئل: "أكفارٌ هم؟ قال: بل من الكفر قد فروا". أمن المنافقين هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا . ما شأنهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا. هذا الإنصاف كان سمة لأهل السنة. سمة لعلماء هذه الأمة ودعاتها الفضلاء الذين استقاموا على هذا المنهج.

والخوارج رغم بدعتهم في تكفير المسلمين إلا أن أهل الصحاح خرجوا لهم في الصحيحين، والإمام الزمخشري، إمام فحل، كبير، وهو من أئمة الاعتزال، خالف أهل السنة في بعض القضايا، ولكنه كان في باب الإعجاز اللغوي البياني لا يشق له غبار، كتابه أساس البلاغة، الفارق بين الحديث والأثر، المفصل في علم العربية، وغير ذلك، وكتابه الكشاف يدل على علو كعبه في هذا العلم، حتى هو قال عن كتابه:

إن التفاسير في الدنيا بلا عـــــدد
وليس فيها لعـــمري مثل كشـــافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته
فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وقد كان شديد الوطأة على أهل السنة، بعبارات جافة وحادة، ومع ذلك انتفع أهل السنة بعلمه فيما أحسن فيه. وصحيح أن ابن المنيرة الإسكندراني جاء وتعقب الاعتزاليات التي في كتابه، وكثير ممن جاء بعده من علماء السنة استبطن فيما أبدع فيه وأنجز في وجوه الإعجاز البياني اللغوي من هذا الكتاب. لم يمنعهم أن الرجل له آراء اعتزالية خالف فيها أهل السنة من أن ينصفوه فيما أحسن وأجاد؛ وكان هذا هدي نبينا ﷺ الذي علمه لأصحابه. وعمرو بن العاص حين ذكر له الروم، ذكر: إن فيهم خصالا أربع، وذكر فيهم أحلمهم عند المصيبة، وكذا...وكذا...وكذا... والخامسة: وأمنعهم من ظلم الملوك. ذكر فيهم خصالا كانت حسنة مع المخالفة، إذن فالمخالفة في الدين أو في المعتقد أو في المذهب أو في الفكر لا تحملنك على عدم الإنصاف مع الذي تخالفه، بل تتحرى هذا الأدب: ﴿وإذا فلتم فاعدلوا﴾، عدل في الأقوال، عدل في الحكم: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾، عدل في الشهادة: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾. هذا العدل في كل حال، ينبغي أن يكون ديدنا في التعامل مع ظاهرة الاختلاف؛ لأن بعض الناس عندهم الناس صنفان: إن كنت معي فأنت قديس، وإن كنت لست معي فأنت إبليس، بين قديس وإبليس، لا منطقة وسطى، والأمر ليس كذلك. وبعض الناس يقول لك العلاقة مع الآخر الأصل فيها العداء، لا يا أخي هو الآخر نفسه ليس حالة ثابتة، الآخر حالة متحركة. إن كان كافرا قد يسلم، وإن كان محاربا فقد يكون مسالما، وإن كان مناصبا للعداء فقد يكون موادعا ومهادنا، حالة العداء الوحيدة التي لا تتبدل ولا تتغير لا تنطبق إلا على الشيطان: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾. وبعد ذلك، فكل شيء متحرك، ما دام من حقك أن تكيف نفسك بحسب الحالة التي يكون فيها الآخر. فلا تنظر إلى نصف واحد من الكأس، ولذلك قضية العدل والإنصاف وقضية التحري هي مما يعين على تقريب الشقة، وتحقيق هذا التراحم الذي نحن أحق به.

إن رحم الأخوة هو من أصل الإيمان، وما كان من أصل الإيمان لا ينبغي أن ينخرم في جزئية من جزئياته، سواء كان في فروع الدين، في فروع العقيدة، أو في فروع الفقه، أو في فروع السياسة، أو في فروع الاجتماع، أو في فروع الفكر، أو في فروع الاقتصاد، أو في فروع الحياة.

وبهذا نجعل الاختلاف، إذا راعينا هذه الآداب، اختلاف رحمة، اختلاف تنوع، وليس اختلاف تضاد، يشكل عامل ثراء، وعامل خصوبة.

وانظروا في كتب تراجم العلماء وسير العلماء، كيف أن العلماء يخالف بعضهم بعضا، ولكن يحفظون هذا القدر. نحن نريد لأجيالنا أن تنمو على هذا الرصيد الزاخر من هذا العطاء الحضاري لأمتنا، أن يستصحبوا مع الخلاف أدب الاختلاف، وأن يستصحبوا مع العلم العلم أدب العلم.

نحن دعاة ولسنا قضاة، هداة ولسنا جباة، ولاة ولسنا قساة، مهمتنا البلاغ، مهمتنا ﴿فذكر بإنما أنت مذكر﴾، مهمتنا أن نهدي و أن ندل الناس على طريق الخير دلالة بالبيان، ودلالة بالعمل والسلوك والحال.

ضعف الالتزام بآداب الخلاف:

صور وأسباب؛

بعض الناس يجتهد، ولأن المشكلة في أن الناس لا يحسنون أدب الاختلاف أصلا في طلب العلم؛ لأنهم ما أخذوا العلم عن أصوله، ما تلقوه عن الشيوخ، ما تلقوه عن الراسخين فيه، أخذوه من الكتب، أو أخذوه من الشيخ غوغل عليه رحمة الله، قال أبو فلان، أبو فلان، الله أعلم أبو فلان ما هي سيرته، عمن أخذ العلم. ما أخذوا العلم. العلماء قديما كانوا يصحبون العالم، ليأخذوا العلم، وليأخذوا أدب العلم قبل العلم. وابن الجوزي له عبارة جميلة: "قد رأيت الاشتغال بالعلم وسماع الحديث، لا يكاد يكفي لصلاح القلب، إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالح". ولقد كان السلف الصالح يذهبون إلى الرجل الصالح للنظر إلى سمته وهديه قبل اقتباس علمه؛ لأن ثمرة علمه هديُه وسمته، هو يستبطن علمه، يستبطنه في هديه وقدوته. فلذلك بعض الشباب الآن حفظة، حفظة نصوص، كما قال الشاعر:

ودخلت فيها جاهلا متواضعا
وخرجت منها جاهلا مغرورا

فما أخذ من العلم شيئا، ولكنه تحول من جاهل متواضع إلى جاهل مغرور. فالقرآن الكريم يردنا أن نحترم في أدب الاختلاف التخصص، وللأسف بعض الناس يقول ليس في الإسلام كهنوت، نعم ليس هناك طبقة تسمى رجال الدين. لكن عندنا علماء، وعندنا أتباع، وعندنا عوام، والإمام علي رضي الله عنه يقول: "النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ". والقرآن يؤكد هذا المعنى: ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾، ﴿فاسأل به خبيرا﴾، ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾، ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾، ﴿أن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾، ما معنى أن نحترم أهل التخصص في كل العلوم؛ في الطب والهندسة والفلك والأحياء والفيزياء، أما الدين كالكلإ المباح يرتاع فيه كل من هب ودرج من الناس. لا بد من احترام التخصص، وهناك فرق بين حفظة النصوص وبين من يفقه النصوص، هنالك فرق بين علم الرواية وعلم الدراية، النبي ﷺ فرق بين هذا وذاك: «نضر الله امرأ سمع مني مقالة» هذا يمكن أن يكون حافظا لكن قال: «فوعاها، فرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه». ولذلك قالوا: المحدثون صيادلة، والفقهاء أطباء. فالصيدلي يحقق الدواء وفق التركيبة الطبية المعلومة، لكن هذا الدواء يصلح لماذا؟ لأي نوع من أنواع المرض؟ هذا يحدده الطبيب. ولذلك فالأئمة الأربعة جمعوا بين علم الرواية وعلم الدراية، ولكن من العلماء من اقتصر على علم الرواية. الإمام الأعمش السليماني رحمه الله من المحدثين الكبار، وكان يروي أحاديثا لأبي حنيفة، فجاءت امرأة تسأل أبا حنيفة عن مسألة، فالأعمش حار عن الجواب، فأجابها أبو حنيفة، فقال الأعمش وقد تعجب: يا أبا حنيفة من أين أجبتها؟ قال: من حديثك الذي رويته لي. فهذا حافظ، يقول لك الحديث صحيح أو ضعيف، ولكن ما يستنبط من الحديث فقها ودلالة وحكما، هذا شيء آخر، هذه ملكة، الفقه ملكة وصناعة. فليس كل من قرأ الآية والآيتين، والحديث والحديثين يصف نفسه إماما للفتيا، هم رجال ونحن رجال كأنها معركة على الذكورة والفحولة، فهذا عبث. الدين يحترم التخصص، ولا بد أن نرجع إلى قضية التخصص.

نحن نريد لأجيالنا أن تنمو على هذا الرصيد الزاخر من هذا العطاء الحضاري لأمتنا، أن يستصحبوا مع الخلاف أدب الاختلاف، وأن يستصحبوا مع العلم أدب العلم.

المخالفة في الدين أو في المعتقد أو في المذهب أو في الفكر لا تحملنك على عدم الإنصاف مع الذي تخالفه، بل تتحرى هذا الأدب: ﴿وإذا فلتم فاعدلوا﴾، عدل في الأقوال، عدل في الحكم: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾، عدل في الشهادة: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾. هذا العدل في كل حال، ينبغي أن يكون ديدنا في التعامل مع ظاهرة الاختلاف.

في القراءة الحداثية للنص القرآني وقضاياه

د. محمد البويسفي

تقديم:

معلوم أن القضايا المرتبطة بالوحي مثل مباحث أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات القرآنية، مباحث مهمة في علوم القرآن، والتي لها وظيفة بيانية وتوثيقية خادمة للنص القرآني، وليست علوما تاريخية، استدعتها الضرورة التاريخية في زمن معين، ثم انتهت مدة صلاحيتها. وقد عمل علماء الأمة على تطويرها وتدوينها، وتوظيفها في دراستها للنص القرآني، ولا زالت تؤدي نفس الوظيفة حتى عصرنا الحالي، وإن كانت تحتاج إلى تجديد وتأهيل وفقا لسنة التجدد والتطور الذي يتسم بها العقل البشري، عموما والعقل الإسلامي خصوصا.

وإذا كانت هذه المباحث حاضرة في الدراسات القرآنية الحديثة، لدى كثير من المفكرين المعاصرين التي تعنى بالقراءة التجديدية للتراث، فإن حضورها أبرز وأخص لدى التيارات الحداثية التي تسعى إلى التحديث وإلى الانتقال من المضامين التراثية إلى المضامين الحداثية عبر ما يسمى بالقراءة الجديدة للنص الديني على غرار ما وقع في الفكر الأوروبي والنصوص الدينية للتوراة والأناجيل.

هذه القراءة الحداثية للنص القرآني تميزت بنقدها الشديد للتراث عموما والنص الشرعي خصوصا وما أحاط به من علوم: مستنبطة منه، أو خادمة له، ودعت إلى إعادة قراءته من جديد وفق منهج وتصور خاص بها، نعرض له من خلال هذه الورقات.

مفهوم النص القرآني عند نصر حامد أبو زيد:

ينطلق نصر حامد أبو زيد في دراسته حول مفهوم النص وعلوم القرآن من كون النص القرآني نصا لغويا تم إنتاجه في ظروف محددة، فهو منتَج ثقافي، "ولأن ألوهية مصدر النص لا تنفي واقعية محتواه ولا تنفي من ثم انتماءه إلى ثقافة البشر"(1) ، فهو تشكل في بيئة ثقافية معينة، وفي فترة زمنية محددة، وأن السبيل إلى فهم معانيه هو منهج التحليل اللغوي؛ لأنه نص لغوي ينتمي إلى بنية ثقافية محدودة، تم إنتاجها طبقا لتلك الثقافة التي تعد اللغة نظامها الدلالي المركزي.

ويهدف -أبو زيد- من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق هدفين هما: إعادة ربط الدراسات القرآنية بمجال الدراسات الأدبية والنقدية. ثم تحديد مفهوم "موضوعي" للإسلام يتجاوز فيه الطرح الأيديولوجي.

وانطلق في مشروعه هذا بانتقاد الفكر الإسلامي مُتَّهماً إياه بالرجعية وأنه أنتج تصورا دينيا عزَل النص عن سياق ظروفه الموضوعية التاريخية التي تشكل فيها، ثم بعد ذلك صبغه بالقداسة، "إن هذا التحويل لطبيعة النص ومن ثم لوظيفته كان محصلة لمجمل اتجاهات الثقافة المسيطرة الثقافة الرجعية"(1). هذه الصبغة القدسية للنص القرآني اعتبرها أبو زيد عائقا أمام القراءة البشرية له.

إن حقيقة النص عند أبي زيد أنه تكون من الواقع التاريخي للعرب، وليس نصا أنزله الله تعالى من السماء على البشر هداية لهم إلى الصراط المستقيم، وهو بهذا يلغي فكرة التنزيل.

الظاهرة القرآنية عند محمد أركون:

يرفض أركون تسمية "القرآن" الكريم، ويعوضها ب"الظاهرة القرآنية"؛ لأن كلمة "قرآن" "مثقلة بالشحنات والمضامين اللاهوتية والطقوس الشعائرية"، ولأنها تقف عائقا أمام المراجعة النقدية الجذرية للتراث الإسلامي وإعادة تشكليه. فأركون يتحدث عن الظاهرة القرآنية كما يتحدث عن الظواهر العلمية والاجتماعية، ويهدف من وراء ذلك إلى "وضع كل التركيبات العقائدية الإسلامية وكل التحديثات اللاهوتية والتشريعية والأدبية والبلاغية والتفسيرية.. إلخ على مسافة نقدية كافية كباحث علمي"(3).

إنه يرفض التعريف التبسيطي للوحي، وعبارات "قال الله تعالى" عند بداية الاستشهاد، و"صدق الله العظيم" عند الانتهاء منه؛ لأن ذلك يغلق مجال المناقشة حول التأليف، أو حول النص المستشهد به(4). ويعيد تعريف القرآن من جديد باعتباره حدثا يحصل أول مرة في التاريخ، فهو "التجلي التاريخي لخطاب شفهي، في زمن ومكان محددين"(5). فأركون يعرف القرآن الكريم بكونه خطابا شفهيا، ويفرق بينه وبين القرآن المدون في المصحف؛ لأن عملية الانتقال من القرآن الشفهي الذي تلفظ به النبي ﷺ طيلة ثلاثة وعشرين سنة إلى القرآن المجموع والمدون في الصحف، عرفت عدة ملابسات مؤثرة من حذف، وانتخاب، وتلاعب، فعملية الجمع مرت في جو من الصراع على السلطة والمشروعية.

هذه الظروف والملابسات التي صاحبت جمع القرآن وتدوينه فرضت -حسب أركون- إعادة كتابة قصة تشكل النص القرآني. وهو ما حاوله في كتاباته النظرية أو التطبيقية، ولم يوفق في مسعاه، فوقف عند الهدم ولم يَبْنِ شيئا.

> **يفرق أركون بين القرآن كخطاب شفوي وبين القرآن المدون في المصحف؛ لأن عملية الانتقال من القرآن الشفهي الذي تلفظ به النبي ﷺ طيلة ثلاثة وعشرين سنة إلى القرآن المجموع والمدون في الصحف، عرفت عدة ملابسات مؤثرة من حذف، وانتخاب، وتلاعب، فعملية الجمع مرت في جو من الصراع على السلطة والمشروعية.**

جمع القرآن وتدوينه عند محمد عابد الجابري:

تعامل الجابري مع قضية جمع القرآن الكريم وتدوينه بمنهج خاص به يجمع بين التشكيك في الروايات الحديثية، وبين البحث عن الروايات الشاذة المرفوضة لدى علماء الأمة، وبين الانتقائية في الأخذ بالروايات الحديثية الخاص بالجمع والتدوين، مع إحيائه لشبهات المستشرقين المتهافتة.

جمع القرآن الكريم وتدوينه -حسب الجابري- من قبل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه شابته مجموعة اختلالات، ويبين الجابري ذلك بقوله: "كان مفرقا قبل تدوين مصحف عثمان، وقد حدثت فيه أخطاء ونسيان وتبديل وحذف ومحو"، ثم شكك بعد ذلك حتى في بقاء مصحف عثمان دون تغيير، وكانت خلاصة بحثه في الموضوع، "أنه ليس ثمة أدلة قاطعة على حدوث زيادة أو نقصان في القرآن كما هو في المصحف بين أيدي الناس، منذ جمعه زمن عثمان. أما قبل ذلك، فالقرآن كان مفرقا في "صحف" وفي صدور الصحابة، ومن المؤكد أن ما كان يتوفر عليه هذا الصحابي أو ذلك من القرآن مكتوبا أو محفوظا كان يختلف عما هو عند غيره كمّا وترتيبا، ومن الجائز أن تحدث أخطاء حين جمعه، زمن عثمان أو قبل ذلك، فالذين تولوا هذه المهمة لم يكونوا معصومين. وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(6). فالقرآن نفسه ينص على إمكانية النسيان والتبديل والنسخ"(7).

هذه رؤيته لجمع القرآن وتدوينه، رؤية تشكيكية، وتأويل خاص للآية الكريمة المبينة لحفظ الله تعالى للقرآن الكريم، وهذا جمع بين المتناقضات.

عبد الجواد ياسين وأسباب النزول استكمال النص بأثر رجعي:

وفي نفس الاتجاه تسير قراءة المستشار جواد عبد الحميد في كتابه "الدين والتدين"(8)، الذي ينطلق فيه من أن النص الديني يتضمن ما هو مطلق ثابت، وهو الإيمان بالله تعالى وبالأخلاق الكلية، وما هو نسبي متغير مرتبط بالاجتماع والتاريخ، لا يمكن إلحاقه بالدين، ألا وهو التشريع؛ لأنه مرتبط بما هو اجتماعي متغير تضخم عبر الزمن وصار أكبر مما هو مطلق ثابت في البنية الدينية، وبالتالي نال صفة القداسة.

من هذه الرؤية للنص الديني يصدر الكاتب رأيه في طبيعة وبنية النص الديني، محاولا تسليط الضوء على تأثير التاريخ والاجتماع في تشكيل النص الديني.

في هذا الإطار يصنف علوم القرآن، الصادرة عن ثقافة عصر التدوين التي تطور إليها التدين الإسلامي، في القرنين الثاني والثالث الهجريين "تبلورت علوم القرآن كعنوان مستقل في وقت متأخر، ومع ذلك فإن مقولاتها الأولية ترجع إلى الملابسات المبكرة لعملية جمع القرآن التي أسفرت عن إنشاء المصحف، وما صاحبها، في غضون الفتنة، من مطاعن تتعلق بمبدأ الجمع، وترتيب السور والآيات، وما عرف بنسخ التلاوة. ودفع بها إلى تبني مقولة النزول المسبق والمجمل للقرآن، كما تم جمعه أو قريبا منه، في اللوح المحفوظ"(9).

وفكرة الكاتب هي تقسيم النص إلى قسمين: منه ما هو إيماني صحيح، بقي مطلقا، لم يتغير، ومنه ما هو تشريعي متعلق بأفعال الناس، نرفضه لأنه يعكس تأثير الواقع الاجتماعي العربي في النص الديني. وهذا يتطابق مع مقولة: فصل الدين عن الدولة.

خلاصة:

تنطلق هذه القراءة الحداثية للنص الشرعي من مضامين الحداثة الغربية وأسسها وجعلها النموذج الأمثل للبشرية، وسعيها لإلحاق الفكر الإسلامي بهذه الحداثة، وتبينت أطروحة الاستشراق التي عملت على تطويرها. ووظفت مناهج البحث في العلوم الاجتماعية واللسانية المعاصرة، التي وظفها الفكر الغربي لاختبار مدى صدقية النصوص الدينية القديمة، وإثارة الشبهات حولها، والحكم على قيمتها التاريخية، وإسقاط نتائج إعمال هذه المناهج الغربية في النصوص الدينية اليهودية والمسيحية على النصوص الشرعية الإسلامية، رغم وجود فارق كبير بين الحالتين.

وهذا ما ترتب عنه فوضى كبيرة في القراءة والتأويل، وغياب المعرفة اليقينية، وأدى إلى فقدان الموضوعية وضياع المعنى الشرعي في القراءة الحداثية...

---

1 - مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت : 1990م. ص24 .

2 - مفهوم النص نصر أبو زيد: ص 14.

3 - الفكر الأصولي، واستحالة التأصيل، محمد أركون. ترجمة هاشم صالح. دار الساقي، بيروت. ط2. سنة 2002، ص 200.

4 - القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح. دار الطليعة، بيروت. ط1. سنة 2001، صر 17.

5 - قضايا في نقد العقل الديني، أركون، ترجمة هاشم صالح. دار الطليعة، بيروت. ط2. سنة 2000، ص 186.

6 - سورة الحجر: الآية 9.

7 - مدخل إلى القرآن، الجابري، طبعة بيروت، سنة 2007م، ص 232.

8 - الدين والتدين، التشريع والنص والاجتماع، عبد الجواد ياسين، التنوير، بيروت، ط1. سنة 2012م.

9 - الدين والتدين، التشريع والنص والاجتماع، عبد الجواد ياسين، ص 74.

كيف تُسْتَثْمر العطل

يعتبر علماء النفس التربوي أن جسم الإنسان تطرأ عليه تغيرات بفضل تغيير المحيط أو بفعل ما يزاوله من مهام وأعمال ينتج عنها التعب والكد، وقد يكون الإنسان نبيها حيا نشطا في مكان وخافتا ضامرا في مكان آخر، وذلك كله يمكن إرجاعه إلى أثر العامل النفسي على الذات ومحيطها، وينبهنا علماء التربية وخصوصا فيما له علاقة بأنماط الفكر أن للتوعية الجانبية أثرا في تجويد مراقي وملكات عقولنا ومداركنا، ومن هذا السبب أو ذاك تم إحداث العطلة من العمل والتفرغ للراحة قصد إعادة تحيين وترقية المعلومات بعد راحة علمية دراسية أنهكت قوى العقل، ثم إتيان فترة الصيف التي اعتبر بعض علماء التربية أن هذه المدة يحتاج فيها الذهن إلى تغيير الممارسة التي يقبل عليها، أي الانتقال من جانب علمي أو عمل إلى جانب آخر قد يختلف عليه من حيث المكان أو الوظيفة، فهل فعلا يستثمر طلبتنا وأبناؤنا عطلهم بتنمية عقولهم وبناء أفكارهم؟ أم حالنا لا يختلف عن فهم العوام للمقصود من العطل بتعطيل الأذهان وقصف الكتب إلى حين حصول وقتها الذي يقيد الإنسان بقضبان الوقت الإلزامي للدراسة؟

إن الأسئلة السابقة تحاول أن تجيب عن نقطة في غاية الأهمية، وكأنها ستجدي بالقارئ إلى كون البعض منا يعتبر العطلة مناطا للجد والاشتغال في مجال مخالف للأول إما ثقافة حرة أو اطلاع على أبحاث تشوقت النفس واستمالت قراءتها ومعرفتها، وهذا يعني أن هناك من يستثمرها فيما يعود عليه بالنفع ترقية وبناءً، وبمفهوم المخالفة لما سلف ذكره فإن منا من يعتبر العطلة الهروب من المسؤولية أو الارتياح منها بالنوم وإعطاء الجسد والعقل والنفس الراحة التامة التي تجعل منه معطلا عن وظيفته بالمطلق، وما أكثر هذا الفهم في مجتمعنا، ليس في صفوف الطلاب والتلاميذ فحسب، بل من يمتهن مهنة التربية والتعليم أو التكوين، وليس من الحكمة في كتابة هذا المقال سرد أحوالنا مع العطل والتباكي عليها أو وصفها بشتى أنواع العرض والتفصيل، فكل واحد منا يعرف حاله وفيما يقضي وقته، وإنما الهدف من هذا المقال هو أن أعطي بعض الثمرات -التي أعتبرها نافعة- التي تقود طلابنا وتلامذتنا لتطوير وتجديد مساحة العقل الفكري بتغيير الموطن من جهة إلى جهة سواء علما أو عملا...

وبما أننا نحن في بداية العطلة، فهي فرصة لا يعلم قدرها إلا من قرب على الانتهاء من هذه الحياة، كيف لا والزمن سيف إن لم تقطعه قطعك، وقد قال النبي ﷺ في شأنه: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»، فقرن رسول الله ﷺ الصحة بالفراغ لأنهما تاج لا يعلمها إلا من فقدهما، وكما هو معهود السلف من العلماء أنهم يفرحون بهذه الإجازات أو العطل، حتى إن أحدهما قد تجده ألف كتابا أو موسوعة كما كان حال ابن تيمية أو ابن القيم وغيرهم من المتقدمين أو حال الأساتذة والفضلاء من أهل العلم من الأكاديميين الذين يقدرون الوقت ولا يبيعونه ولو قيد أنملة، وسعادتهم لا تقدر بثمن، وقد تجد أحدهم يعيش ضنكا لكثرة توافد الضيوف خصوصا إذا كان ممن لا يؤمنون بالثقافة الفكرية، أو لا يقدرون

العطل الصيفية، إذ هي الملاذ الوحيد للإنتاج كثير من الناس، وكذلك يحصل لبعض طلابنا وتلامذتنا في العصر الحالي وقليل ما هم بل أكثرهم لا يدركون.

إن الهم الذي يحمله لمن يتزود بالعطل هو:

• **التكوين الذاتي لتنمية الأفكار** إما لضعف بين في علم من العلوم أو الاطلاع على علم جديد ترغب النفس في الاطلاع عليه أو التزود منه، أو القراءة الحرة التي تطيب لذة النفس بها، ويمتلئ الجوف منها.

• **الاطلاع على المستوى المرغوب تعلمه في السنة المقبلة**، وهذا خاص بالطلبة والتلاميذ ممن لازالوا في عمر الدراسة، فيبحثون عن العلوم التي تدرس، ومعرفة محاورها ومباحثها وسبل التزود بمناهج ضبطها...

• **الرغبة في منافسة أهل العلم والوصول** إلى درجة بلوغهم ومستواهم، ولا يتم ذلك من خلال ملء الفراغ بالاعتكاف في العطل عند الشيوخ وقراءة الكتب، بل أقل الأشياء قراءة ذكريات العلماء وسيرهم وأخذ العبر والعظة من تحركاتهم الماضية وأمجادهم العلمية.

• **تلخيص بعض المقروءات التي تعلق** بالذهن، أو التي يظن الطالب/ التلميذ أن فيها نفعا سيعود على أمثاله بما يخمر أذهانهم بالعلم والتعلم، ومحاولة تربية النفس على اكتناز مثل هذه المصطلحات، بل الرغبة في تشكيل بنك المصطلحات وتكرارها كلما سنحت الفرصة من أجل إثباتها وترسيخها في الذهن، ومن الأفضل نشر هذه الملخصات في موقع إلكترونية بله مواقع التواصل الاجتماعي، ونشر هذه الفوائد العلمية من وسائل نشر العلم، وتسهيل من صعب عليه قراءة ذلك الكتاب أو المجلة...

• بالنسبة لمن يشتغل في العطل، بالنهار -باعتبار الحالة الوضعية- هناك فرص للعلم وهي أن يملأ وقته بالقراءة، ولو في الفترة التي يمر بها في الشارع، وفي ذلك فؤاد منها:

• أولا نشر ثقافة الكتاب، ومحاربة الجهل المدقع الذي يكسر عزائمنا وهممنا.

• شغل النفس بما يعود عليها بالنفع، بدل التحذلق في أعراض الناس -ولا يخفى على المار من الشارع ما لعرض الأزياء بدون مقابل-.

• تذكير من له هم العلم وتكسير تلك النظرة التي تجعل من العلم وسمة تخلف وجهل.

• اغتنام الوقت الغالي وتقديره والامتثال للحديث "وقتك قبل فراغك".

بعد استغلال هذه الفوائد من المهم جدا أن يخصص المرء ساعة في المساء بعد صلاة العشاء رفقة صديق من أجل إعطاء خلاصة عن الشيء المقروء، والاجتهاد قدر الوسع في استحضار المعنى الإجمالي، والاستماع كذلك إلى الصديق بنفس الطريق والإدامة على هذا الفعل التعليمي التعلمي، وإني أرى لهذا فوئد منها:

• تدريب اللسان على التحدث.

• إصلاح اللسان من الاعوجاج الخطير.

• الانتباه إلى أخطاء الآخر قصد توجيهها وتصويبها.

• إبداء الرأي والاستدراك على المقروء.

• استنباط الحكم والعلل من أي موضوع -كيفا ما كان-

• اكتساب طلاقة اللسان بالمحاورة والجدال والمناظرة.

• تكوين ملكة الاستماع وحسن الإنصات.

قد تكون هذه أدنى رغبات كل من يخط بيده القلم من الطلبة والمتمدرسين، وإلا هناك مسائل في عصرنا تحتاج إلى تحرير وبحث جاد لإيجاد حل مناسب من نوازل الاقتصاد والتربية والفقه والاجتماع ... ولا يمكن أن يتحقق هذا الغرض العام إلا بعد أن تجد الثقافة العلمية سادت مجتمعنا وتغلبت على الكسل الذي كسر فكرنا وعطل أذهاننا.

• وضع برنامج زمني يومي، يتم الاشتغال عليه وفق خطة وتنظيم محدد يحمل في طياته الأهداف والمرامي التي ينبغي أن يتزود بها خلال هذه العطلة المباركة، وبعد ذلك يتم تحديد المادة المرغوب تعلمها، قراءتها أو دراستها، مع نوع من الشدة من النفس ومحاولة إفطامها عن التعطيل والموت البطيء التي يسببه لنا فهمنا الخاطئ للعطل.

• اعتبار أن العطلة فرصة لتدارك الأخطاء التي يقع فيها المرء داخل الحجرة الدراسية أو الفصل الجامعي، والتركيز على مواطن الضعف قصد تقويتها، ومواطن القوة قصد تدعيمها وتتميمها.

عبد الرحمان بنويس

اقتراحات عملية في قضاء الإجازة الصيفية

قيمة الوقت:

بعد قضاء عام دراسي مُضنٍ وشاقّ وما يعقبه من تعب وإرهاق، تأتي فترة الراحة والاستجمام، المعبّر عنها بالإجازة الصيفية، وهي فترة يتغافل عنها الناس فيستمتعون بالراحة واللهو المفرط، وقد يصل الإنسان إلى حدّ إهدار الوقت وضياعه في التفاهات، التي لا تجدي نفعا، فإراحة البدن بعد التّعب أمر ضروري لاستعادة النشاط والحيوية؛ لكن أن يصل الأمر إلى إهدار هذه النعمة، نعمة الوقت والفراغ، فهذا غير مقبول شرعا.

لقد اعتبر الإسلام الفراغ نعمة ودعا إلى استغلاله في طاعة الله تعالى وما ينفع العبد في الدنيا والآخرة، كما نبه رسول الله ﷺ إلى غفلة الناس عن هذه النعمة وعدم تقديرها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مَغبون فيهما كثيرٌ من الناس؛ الصحة والفراغ» (رواه البخاري).

إن تقدير الوقت في حياة المسلم يعتبر قيمة من قيم تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف؛ لما في ذلك من فوائد جمّة يجنيها الإنسان من الوقت، فهو سرّ تقدم الإنسان وازدهاره، وقد أنيطت بالإنسان مسؤولية إدارة الوقت والعناية به، وسيحاسب الإنسان على ذلك يوم القيامة منذ أن تطأ أقدامه أرض المحشر. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عمره: فيمَ أفناه؟ وعن شبابه: فيم أبلاه؟ وعن ماله: من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعَنْ علْمه: ماذَا عمل فيه؟»؛ (أخرجه التِّرمذي برقم: 2340).

اقتراحات عملية في تدبير الإجازة الصيفية:

إن تدبير الحيّز الزمني في حياة الإنسان، والتّخطيط المحكم للوقت يعد أمارة على النّبل والرفعة، ووسيلة لتحقيق النهضة العلمية والفكرية؛ لذا ارتأيت تقديم بعض التوجيهات في شأن الإجازة الصيفية، وذلك على النحو التالي:

● وضع خطّة تحدّد كيفية قضاء فترة الإجازة الصيفية،منذ الشروع فيها؛ لكي يكون التدبير ناجحا.

● تخصيص بعض الوقت لقراءة الكتب المفيدة والمجلات العلمية النافعة.

● مشاهدة بعض البرامج العلمية النافعة عبر القنوات الفضائية، أو الشبكة العنكبوتية.

● القيام بالأنشطة الثّقافية والحرص على الحضور في الندوات العلمية؛ لما في ذلك من شحذ للذهن، واكتساب الرصيد المعرفي.

● مزاولة بعض الأنشطة الرياضية والمداومة عليها خاصّة في الفترة الصّباحية.

● الحرص على صلة الرحم وزيارة أفراد العائلة؛ لأن ذلك واجب شرعا.

● القيام بزيارات ترفيهية واكتشافية، رفقة الأصدقاء الصالحين؛ لاكتشاف المواقع الأثرية وما تزخر به الطبيعة من مؤهلات بيئية.

● تنظيم أوقات النوم وعدم الاستغراق فيه كثيرا؛ لأن الإفراط في النوم بكثرة يؤدي إلى الكسل والخمول.

وبهذه الخطوات العلمية يكون الطالب المتمدرس والمتعلم بصفة عامة، قد استفاد من إجازته الصيفية، وجمع بين المتعة والفائدة، من خلال صقل الفكر وشحذه بالقراءة الحُرّة واكتساب الرصيد المعرفي، وتنشيط البدن ببعث الحيويّة فيه من خلال مزاولته للحصص الرّياضية، والتّرفيه عن النّفس في إطار الشرع من خلال الزيارات الترفيهية والاستكشافية.

عبد الواحد المسقاد

اللغة العربية لغة القرآن الكريم: مباني ومعاني

2 - أصالة الحرف في بناء دلالة الكلمة (6)

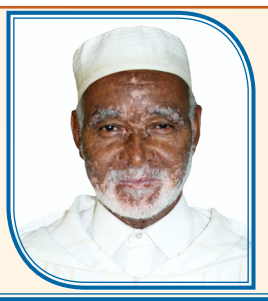

د . الحسين كنوان

بدأنا في الحلقة الماضية (5) المحجة عدد 482 بمناقشة ضوابط ترتيب أحرف المباني في مخارجها وأحيازها عند كل من الخليل وسيبويه، وكان الهدف من ذلك هو التنبيه إلى دقة ترتيبها عند الخليل في ذلك الظرف بضوابط معينة، وما نتج، وينتج عن تلك الضوابط من تحديد وظائف أحرف المباني أو بعضها العامة والخاصة في بنية الكلمة. ثم مقارنة ما جاء من ذلك عند سيبويه لأجل عرضه على رأي ابن جني الذي فضل ترتيب سيبويه على ترتيب الخليل. وقد بدأنا بعرض نماذج من ضوابط الخليل في هذا المجال في الحلقة المشار إليها. وختمنا بدء مناقشة وظائف أحرف حيزي الذلق والشفتين، ورأينا حرص الخليل الشديد في النص الذي ختمنا به على التمييز بين سمات أحرف هذين الحيزين ووظائفها، ووظائف أحرف بقية الأحياز مما جعلنا نختم بسؤال هو: لماذا هذا الحرص الشديد على التمييز بين أحرف الذلق والشفتين وبقية أحرف المباني عند الخليل؟

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل نقول: يبدو أن مضمون هذه اللقطة الدراسية عند الخليل ينبغي أن تكون حاضرة بقوة في مقدمة التنظير لقواعد اللغة العربية المتميزة في كل زمان!

في هذا السياق نذكر ببعض العبارات الواردة في النص السابق في الحلقة الخامسة مثل قوله: "وإنما سميت هذه الحروف ذُلْقاً لأن الذلاقة في النطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين". فنحن نلاحظ هنا أسس تعليل التسمية التي هي النطق بطرف هذا العضو المتميز بين أعضاء النطق عند الإنسان الذي هو "اللسان"، وقد عطفت عليه الشفتان في نفس الوظيفة. وبهذا العضو سمى الحق سبحانه وتعالى وسيلة البيان وميزها، قال الحق سبحانه: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ (إبراهيم: 4). **هكذا نفهم من هذه الآية أن أداة البيان التي تقوم بها الحجة على المخاطب هي اللسان، وليس مطلق اللسان، وإنما هو اللسان الخاص بالمخاطب كما ينص على ذلك المضاف إليه في الآية المذكورة لسان قومه.**

وقوله بخصوص أحرف الشفتين "...لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط..."

هذه العبارة أيضا قوية في مجملها بأدواتها التي تتضمنها أداة الحصر "إلا" بعد النفي "لا"... ثم تقييد هذه الحروف المقصودة بصفة "الصحاح" إخراجا لأحرف اللين (العلة) والهمزة كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الحلقة الماضية.

والعبارة الثالثة الخاصة بتمييز هذه الحروف هي قوله: "ولا ينطق اللسان إلا بالراء واللام، والنون".

لهذا وغيره مما لم يذكر بخصوصية الأحرف المذكورة قلنا: إن هذه الالتفاتة ينبغي أن تكون حاضرة باستمرار.

هكذا يتضح أن الخليل لم ينص على تمييز أحرف الذلق والشفتين عبثا، وإنما فعل هذا لما تتميز به هذه الحروف عن سواها، من ذلك ما يلي:

أ – يبدو أن هذه الحروف الستة أكثر استعمالا من غيرها من الحروف في الكلام العربي؛ وفي هذا السياق يقول الخليل: "فلما ذلقت الحروف الستة، وهذل بهن اللسان، وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها" (ع1/52)

ب – تعتبر هذه الحروف معيارا من معايير التمييز بين الكلمات العربية والأجنبية الدخيلة، وفي هذا يقول الخليل: "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذَّلق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب؛ لأنك لست واجدا من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذَّلق والشفوية واحدا أو اثنان أو أكثر. قال الليث: قلت: فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة بشيء من هذه الحروف؟ نحو الكَشَعْثَج، والخَضَعْثَج وأشباههن. فهذه مولدات في كلام العرب؛ لأنه ليس فيهن شيء من حروف الذلق والشفوية، فلا تقولن منها شيئا وإن أشبه لفظهم وتأليفهم، فإن النحارير منهم ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت.

وأما البناء الرباعي المنبسط فإن الجمهور الأعظم منه لا يعرى من الحروف الذلق أو بعضها إلا كلمات نحو عشر [عشرين] كن شواذ..." ع1/52-53

هكذا تعتبر هذه الحروف الستة ميزانا للكلمات العربية للتمييز بينها وبين الأجنبية الدخيلة، ولا ينبغي اعتبار هذا الإجراء سلبيا بحمله على التعصب للذات ورفض ما عند الآخر، وإنما هو من باب الاحتياط للذات من الدخيل المغرض فقط.

وهذا مما تفسره عبارة الخليل في النص قبله: "فإن النحارير منهم ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادةَ اللبس والتعنيت"، **وذلك لأن اللغة محضن الأفكار والمفاهيم الحضارية المتباينة بين الأمم والشعوب، فما هو مقبول ومرغوب فيه في حياة البعض، قد يكون ممنوعا ومرفوضا عند غيره. هذا مع العلم أن اللغة العربية لا تسد الأبواب بينها وبين اللغات الإنسانية بصفة مطلقة، فقد اقترضت الكثير من الكلمات عبر مراحل التاريخ لكن بضوابط واقية من تحريف نظام أبنية اللغة وقواعدها من جهة، واتقاء من أعمال النحارير كما أشار إليه الخليل من جهة ثانية.**

تلك هي نماذج من الضوابط المعتمدة عند الخليل في ترتيب أحرف المباني وتصنيفها وفق مخارجها وأحيازها.

وتلك نماذج من وظائفها الخاصة والعامة، أوردناها مرقمة في الحلقتين الخامسة والسادسة (المحجة ع 482 وع 483) حتى تسهل الإحالة عليها عند الاقتضاء، ولا يزال ثمة ما يمكن إضافته في هذا المجال -عند الخليل- مما يتعلق بخصائص بعض أحرف المباني، بالإضافة إلى الإحصاء العام لعدد أنواع الأبنية الأسس في اللغة العربية، وما اتسم به بعضها من نقص بعض أحرف البنية شكلا، واستحضار الإجراء المعتمد لاعتباره معنى، وهو ما سنحاول أن نلخصه في حلقة خاصة إن شاء الله، بعد مناقشة ضوابط تنظيم أحرف المباني وفق مخارجها وأحيازها عند سيبويه ومقارنتها بما ذكرناه عند الخليل لتقييم رأي ابن جني في الموضوع!

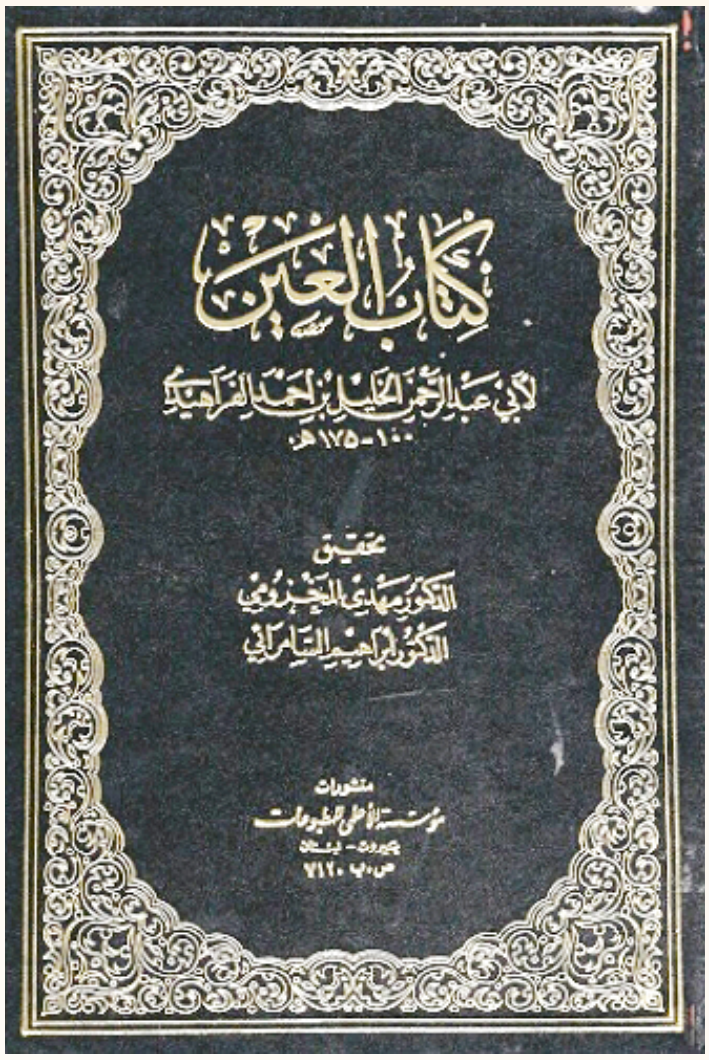

والذي لا ينبغي إغفاله في هذا المجال هو الانتباه إلى دلالات بعض العبارات الملحة على ضبط معالم مسيرة التنظير في المجال اللغوي كتنبيه الخليل -رحمه الله- إلى ضبط وظائف أحرف الذلاقة والشفتين التي تعتبر معيارا للتمييز بين الكلمات العربية والدخيلة. والتحذير من أعمال المغرضين من الأمم والشعوب المعادية التي تروم إفساد أسس قواعد اللغة بإدخال كلمات ذات مضامين محرفة للمفاهيم، وهو ما عبر عنه بقوله -في النص قبله-: "فإن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت".

ودون أن نقف عند دلالات كل كلمات هذا النص نعرض دلالة كلمة نحرير التي هي محور النص كما يلي: يقول ابن منظور: "... والنحر، والنحرير: الحاذق، الماهر المجرب، وقيل: النحرير الرجل البَطِن [العالم بباطن الأمور] المتقن، البصير في كل شيء.

وفي حديث حذيفة، "وكلت الفتنة بثلاثة: بإلحاد النحرير، وهو الفطن البصير بكل شيء" ع5 مادة نحر.

ويقول ابن فارس: "... والعالم بالشيء المجرب نحرير وهو إن كان من القياس الذي ذكرناه بمعنى أنه ينحر العلم نحرا كقولك: فتلت هذا الشيء علما" (معجم مقاييس اللغة، 5 مادة نحر).

ومما يدل على أن الخليل لا يسد باب الاقتراض الإيجابي من اللغات الإنسانية بالمرة هو استعماله لكلمة "رب" التي تفيد عدم تعميم هذا الحكم على كل أهل العلم في المجتمع الإنساني، وهنا ننبه فقط إلى ما وقع ويقع من الصراع الحضاري في بعض مراحل الأمة الإسلامية كالشعوبية والاستشراق والحداثة! وهذه محطات تاريخية لا تخلو من أعمال النحارير المغرضة، وهذا ما حذر منه الخليل يرحمه الله.

تعزية

بمالغ الأسى والحزن تلقينا نبأ وفاة السيد العربي كنوان أخ الأستاذ الدكتور الحسين كنوان من مواليد 1931م وقد وافته المنية يوم الخميس 06/07/2017م.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بأحر التعازي وأصدق المواساة لأسرة الفقيد ونخص بالذكر الأستاذ الحسين كنوان ولجميع معارفه وأحبائه، راجين من المولى جل جلاله ووسعت رحمته أن يتغمده بواسع رحمته وعظيم مغفرته، وأن يرزق أهله الصبر الجميل وأن يخلفهم في مصابهم خيرا ولا يسعنا إلا أن نقول لله ما أعطى ولله ما أخذ ولا نقول إلا ما يرضي ربنا إنا لله وإنا إليه راجعون

مسافات

التّـــاج

قد يتيه بك المقام فتشدّ الرّحال إلى تاج محلّ، وأنت تقرأ العنوان أعلاه، وتستقرئ من التاريخ مباهج حضوره في الذاكرة الإنسانية، مَعْلَمًا توّج المسلم الإنسان بمعنى جميل، ورفعه عليّا حين قدّر في عمقه المرأة، وأحبّها أما وأختا وزوجة، ونسج لها من وحي هذا الحبّ ما يصنع الإضافة، ويرتقي بالشعور الإنساني إلى ما يتمنّاه كل منتمي لدين الفطرة.

نستجمع الطاقة هنا ليكون شاه جيهان، واجهة الحضور لهذه المعاني، وواجهة الخلود لها أيضا ممتاز، هذه المرأة التي حين أحبّها شاه جيهان بصدق المسلم، أهدى لها قصرا هو تاج محل المزروع في الهند بحديقته الغنّاء دون عقد، وأهدانا جمالا خاصا: هو جمال السخاء والعطاء، ليؤكد أنّ قلب المؤمن حين يحب، يعطي بلا حساب للتّمكين للفاعلية الإنسانية بين الزوجين، هذه الفاعلية التي تتّسع بميثاق الله فترفض الحب الذي يقتل الأنفاس، وتبعث صدقا آخر تشدّه إلى السماء خيوط الإحساس اليومي بالوجود الذي يبدأ في هذا المقام بتقدير الزوجة وتكريمها بما يليق وبما دعا له الإسلام.

كنت كثيرا ما أتساءل بيني وبين نفسي من أيّ طينة هو، كي يهديها ما صار مع تعاقب الأزمان عجيبة من عجائب الدنيا السبع، وهل شاه جيهان الحكاية الخالدة والمودة الصامدة يمكن أن يتكرّر بكل هذا الوجد؟ أم أنّه نموذج قد انقرض مع معطيات الحياة الزوجية المعاصرة التي أصبحت بفعل الفهم الخاطئ للحداثة أوهن من خيوط العنكبوت.

ولكن ما رأته عيناي، وأنا أناقش رفقة أساتذتي الأفاضل الأجلاء رسالة دكتوراه حول ترجمات مي زيادة ،لطالبة صابرة ومجاهدة تحدّت ظروفها الصحية العصيبة وقاومت مرضها المضني منتشية بانتصارها على كل ألم، كان فوق الوصف.

إذ وبعد انتهاء المناقشة وتتويج الطالبة بدرجة الدكتوراه مع التهنئة، فوجئنا برجل فريد من نوعه يتقدّم إلينا، ليستأذن اللجنة في قول كلمة، فكان له ما أراد.

بدأنا بالحديث عن صمود زوجته أمام المرض وإصرارها المكين في الخروج من المستشفى، وهي على تعبها ومرضها من أجل المناقشة، مهما كانت التبعات، ثمّ ما فتئ وأن أخرج في حياء، تاجا من ذهب ورفعَه إلينا قائلا: لم أجد أمام صبرها وطموحها وحرصها في تحدي مرضها، محبّة في العلم والمعرفة -وأنا من عايَش آلامها الكبيرة إلاّ هذا التّاج أضعه على رأسها، عرفانا لها بجميل الصبر، وتقديرا لها على تحدّيها لقهر المرض، بالنّجاح الذي تعيش نشوته بينكم بكل هذه الطاقة، ثم تقدّم إليها خطوات، ووضع التّاج على رأسها في غمرة من دموع فاعل.

ومن يدري لعله يكون تاج الشفاء المأمول في غمرة من أمل في الله كبير.

يا الله كم كان المشهد أكثر من إنساني، فقد أبكانا جميعا بلا استثناء، وأهدانا لحظات هي أشبه ما تكون بالحلم.

المعنى ليس تاج الذهب في ذاته -وإن كان الذهب أعز ما تحبّ النّساء عموما- وإنّما في السّلوك الرّاقي الذي لبسه هذا الزوج، وهو يعيش إشراقه الرّوح المؤمنة فيكرّم زوجته في عرسها الثاني، المليء بالفخر والاعتزاز، ليؤكد لها ولنا أنّ نموذج شاه جيهان المسلم، قد يتكرّر متى توفّر الصدق والإيمان، وتحرّكَتْ المواجد بمسالك روحية نحو السموّ بالعلاقة الزوجية إلى المستوى الذي يستشعر فيه الإنسان أن الامتلاء هو أن تحبّ بصدق وتضحي بصدق وتُهْدي بصدق، ومن ثَمَّ تتفاعل مع الحياة ومع العلم ومع المرأة بما يجب فتعطي لكل مقام قدره بعيدا عن أي مزايدة أو تفاخر، ليصبح التّاج في هذا المقام لهذه الباحثة الصامدة تاجين: تاج الأدب وتاج الذهب وبين التاجين رقي فريد من نوعه نتمنى أن لو يعود إلينا في كل مرّة ليذكّرنا أنّنا نستطيع أن نصنع الأرقى، فسلام لكلّ رقيّة تفاعلت مع الحياة بهذا العمق وسلام لكل رجل فريد أقنعنا بأنّ دنيا الرّجال لا تزال مليئة بالخير.

دة . ليلى لعوير

وِمضة

نحن في عطلة!

يتوافد الأقارب تباعا من مدن بعيدة عن البحر... يتكدس البيت بالضيوف... تفقد الأسرة المضيفة خصوصياتها... تصبح غرف نومها وأشياؤها الخاصة ملكا مشاعا للضيوف...

تلزم ربة البيت وبناتها المطبخ لإعداد الوجبات.. يضقن بحرارة الطبخ والحجاب وعدم استئذان الضيوف وطلباتهم...!

يظل الضيوف في البحر.. يتركون البيت متسخا مقلوبا رأسا على عقب.. يعودون مساء بملابس لا تكاد تستر أجسامهم.. يستفزون الأسرة والجيران... يدخلون البيت بفوضى.. يلتهمون الطعام... يستحمون.. يقلبون البيت رأسا على عقب وأوساخا... ويخرجون ثانية... يعودون بعد منتصف الليل.. يملأون البيت صخبا وضجيجا وأضواء... يلتهمون الطعام المهيأ في المطبخ.. يضج البيت برائحة الزيت والقلي... يقضون مضجع الأسرة المضيفة... تضيع صلاة الفجر... تتخبط الأسرة في فوضى عارمة.. ينقلب نظام حياتها رأسا على عقب...!

يشتكي الجيران من الفوضى... تصاب الأسرة بالحرج، فأجمل ما تملكه في الحومة السمعة الطيبة وحسن الجوار...

تنهار الأم وبناتها من فرط خدمة الضيوف والسهر... ينهار الأب ومواعيد عمله.. ترتفع المصاريف... تتضاعف فاتورة الماء والكهرباء... تنهار ميزانية الأسرة... تلجأ إلى الاقتراض من معارفها...!

تقضي الأسرة ديونها أقساطا طيلة العام... تتنفس الصعداء...

تقترب العطلة، يستبد بها القلق.. كرهت فصل الصيف والعطلة..

أخبرها الأقارب بمواعد زياراتهم... اعتذر رب الأسرة بحجة ضيق البيت وحرج زوجه وبناته... احتجوا: "التيساع في القلب!".

اقترح عليهم حلا وسطا.. أن يستأجروا بيتا مفروشا... احتجوا: "وهل ستتولى أنت المصاريف كلها؟! نحن في عطلة، فمن يخدمنا؟!".

كرر اعتذاره... نصحه أخوه: "أنت لست رجلا.. تتحكم فيك زوجك.. تفرق بينك وبين عائلتك... لو كنت مكانك لطلقتها!".

ذة. نبيلة عزوزي

إصدارات

"الثقافة الإسلامية في بورما الواقع – التحديات – الحلول"

كتاب يعزز الخزانة العلمية المعرِّفة بمسلمي بورما

عرفت الساحة العلمية ولادة كتاب جديد يتحدث عن المسلمين في بورما وهو كتاب "الثقافة الإسلامية في بورما الواقع – التحديات – الحلول" وأصل الكتاب رسالة دكتوراه من إنجاز الباحث سيف الله حافظ غريب الله.

ويتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: خصصه صاحبهللحديث عن روافد الثقافة الإسلامية في بورما وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية. وتضمن خمسة مباحث:

الأول: المساجد في بورما وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية.

الثاني: التعليم (الكتاتيب والمدارس والدور الإسلامية) وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية.

الثالث: الجماعات لإسلامية ودعاة السلفية وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية.

الرابع: الجمعيات والمؤسسات الإسلامية وأثرها في نشر الثقافة الإسلامية.

الخامس: الأسرة وأثرها في غرس الثقافة الإسلامية.

الفصل الثاني: خصصه الكاتب للحديث عن التحديات التي تواجه المسلمين في بورما. وتضمن هو الآخر خمس مباحث:

الأول: التحديات الدينية.

الثاني: التحديات الفكرية والثقافية.

الثالث: التحديات الاجتماعية.

الرابع: التحديات الاقتصادية.

الخامس: التحديات السياسية والإعلامية.

الفصل الثالث: خصصه المؤلف للجهود الداخلية والخارجية لمواجهة تحديات الثقافة الإسلامية في بورما. وتضمن مبحثين:

الأول: الجهود الداخلية.

الثاني: الجهود الخارجية.

الحصـــــار

د. عبد المجيد بنمسعود

ربما كانت هذه الكلمة أنسب ما في القاموس من الكلمات التي يلجأ إليها الإنسان للتعبير عن حالة الضيق والانحباس، أو الاختناق التي يستشعرها بداخل كيانه، تتحرك مع كل ذرة من ذراته، وتحتل كل مساحة من مساحاته، وتتربص بكل منفذ من المنافذ التي قد تسنح في غفلة من الرقيب، فتعمد إلى سده وتشميعه بكل ما أوتيته من قسوة وصرامة، وحقد وضراوة، وقد يحار الدارس الخبير من استمرار الحركة، وارتعاشة الأنفاس داخل الكيان المحاصر، في الوقت الذي تؤشر فيه كل الملامح والعلامات، على أن الجسد أو الكيان يوجد رهين حالة إكلينيكية تنذر بالفناء والانهيار. ويكشف التأمل والبحث والاستقصاء، أن وضع الإنسان المحاصر -في ظل ملابسات الحياة وفصول صراعها المرير، وتحدياتها البالغة الشراسة والعناد- الذي قد يصل عتبة اليأس والإحباط، يمكن أن يشبه عجب الذنب الذي ستنبثق منه الحياة بعد أن ينفخ في الصور يوم البعث والنشور، فقوة الحياة نزاعة إلى الاستمرار والخلود، متأبية على الفناء والاندثار.

وإذا كانت تجليات هذه الحقيقة قد مثلت لقوى الخير والبناء، عبر أحقاب التاريخ، حافزا نفسيا قويا، وقاعدة ارتكاز صلبة في مواجهة الأعاصير والأنواء، مهما كانت من العتو والرهبة، وفي الإصرار على إيقاف زحفها وكسر صولتها، فإنها (أي التجليات) تمثل بالنسبة للقوى التي ديدنها ودأبها فرض الحصار وإحكام قبضته على تلك القوى الراشدة الخيرة -لإطفاء نورها أو إخماد جذوتها أو كتم صوتها- عامل تسعير لأحقادها، وإلهاب لما يعتمل فيها من شهوة للهدم والفساد والطغيان.

وإذا كانت حالة الحصار في مفهومه العام، تمثل في محصلة الأمر قتلا ممنهجا للإنسان، وتجفيفا لمنابع القدرة فيه، ووأدا غاشما لمشروعه في تنمية الحياة ورفع صرح الحضارة الراشدة، فإن أسوأ مظهر لذلك الحصار، هو ذلك الذي يمارسه الإنسان -باعتباره فردا أو جماعة أو أمة- على نفسه، تحت تعلات متعددة وذرائع شتى، يحاول من خلالها أن يظهر لنفسه وللناس في وضع طبيعي سليم. وتزداد الحالة مأساوية عندما يحاول الإنسان مخاتلة قواه الباطنة الخفية، بنية وسبق إصرار، لنزع صفة الحصار عن حالة تشكل أسوأ حصار، وإن كان النجاح في هذه المحاولة يشكل ضربا من المستحيل، بسبب استحالة إسكات صوت الفطرة بشكل نهائي، فما فطره الفاطر عز وجل في بناء الإنسان، لا يمكن أن يعتريه الهدم والإعدام التام، فالأمر يتعلق هنا بحالة غيبوبة ونسيان.

ومن الأكيد أن حالة الغيبوبة والنسيان تلك، تعتبر في منظور القرآن سببا لأشنع عقاب يتعرض له الإنسان، وهو نسيان الله له، يقول الله جل جلاله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر: 19). ويقول سبحانه: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: 67).

وارتباطا بما سبق، ندرك أن حالة الحصار التي تمارس على الإنسان، أو يمارسها الإنسان على نفسه، تشكل حالة إعاقة شنيعة لمسيرة الإنسان، بل عملية اغتيال لإنسانيته، ومحاولة لمحو وجوده، من خلال شل طاقاته وقص أجنحته، وتجريده من خصوصيته باعتباره خليفة لله في الأرض.

ويمكننا أن نتحدث هنا، ارتباطا بالسياق ذاته، عن ما يمكن أن نطلق عليه: "القابلية للحصار، بكلْتَا معنييه اللذين سبقت الإشارة إليهما، علَما أن أحدهما يؤسس للآخر، ويتيح له فرصة الديمومة والاستمرار إلى حين، فيكون سببا لتعطيل إمكانية السمو والانعتاق، وتعويق حركة التطور والإصلاح، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وتحرير الوجود الإنساني من العقد والمثبطات.

أما في حالة بقاء الحصار في مستواه الخارجي المفروض من قوة مستكبرة غاشمة على قوة مستضعفة، فإنه لا يعدو أن يكون حالة عابرة قابلة للرفع والإنهاء، الذي يتحقق عند توفر شروطه، إذ إن سنن التدافع بين الحق والباطل، وحتمية غلبة الأول وظهوره على الثاني تأبى إلا أن تجعل حالة الحصار مجرد تمحيص واختبار. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: 5).

وليست المعضلة في وقوع الحصار، وإنما في قبوله والرضوخ له والرضا به، فتاريخ الإنسانية يسجل ملاحم كبرى، استطاعت فيها قوى الممانعة والتحرر أن تكسر ألف حصار وحصار، وترد جحافل البغاة المستكبرين على أعقابهم خائبين خاسرين.

ويمثل حصار شعب أبي طالب الذي استهدف رسول الله ﷺ وحبيبه ومصطفاه من خلقه، هو وصحبه عليهم رضوان الله، وعشيرته من بني عبد مناف، نموذجا لأعتى ما يمكن أن تتعرض له جماعة بشرية من الأذى والانتقام والإيلام من قوى الشر والاستكبار والضلال والطغيان، لثنيها عما تؤمن به، كما يمثل صبر المحاصرين في ذلك الشعب وفي طليعتهم سيد الصابرين والثابتين على الحق، رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة والمثل الأعلى لكل القابضين على الجمر ممن تعرضوا ويتعرضون للبلاء، في الصبر على اللأواء، والثبات على المبدأ، مهما اشتد الألم وعظمت التضحيات.

إننا قد لا نجانب الصواب إذا قلنا بأن العنوان العريض الذي يؤطر حياة العرب والمسلمين في هذا العصر الرهيب، هو عنوان الحصار، الذي يكاد يلتف حول كياننا بمنتهى العنف والقسوة، كما يلتف أعتى وأخطر الثعابين حول جسم كائن حي، تمهيدا لابتلاعه بلا شفقة ولا رحمة.

إنه حصار غريب يتخذ شكل ظلمات بعضها فوق بعض، أو شكل دوائر متراكبة تمثل أعلاها رأس الحربة ومركز القرار، في حركة علو واستكبار، تزعم لنفسها الهيمنة وتجسيد نهاية التاريخ، في ظل إفلات البوصلة وتفرق أهل الحق في متاهات الألقاب الزائفة والمغانم التافهة الزائلة.

إن تدبر كتاب الله ﷻ وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، يكشف لنا السر، ويدلنا على أصل الداء، وعلى المفتاح الذي به يفك الحصار، يقول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: 165)، وعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا -أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» (الترمذي: حديث حسن صحيح).

إنه حصار الغير بسبب حصار الذات، وحصار الذات بسبب حصار الغير، ولن يفك الحصار إلا بالرجعة الصادقة إلى الذات، والاعتصام بحبل الله المتين، استجابة لأمر الله الولي الحميد: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 105).

برنامج الأغذية العالمي: مسلمو الروهينجيا على حافة المجاعة

حذرت نتائج مسح الأمن الغذائي الذي أجراه برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة (WFP)، خلال نيسان / أبريل وآذار / مارس الماضيين، من مجاعة تهدد أكثر من 220 ألفا من مسلمي الروهينجيا، وذلك في أكبر موجة عنف تشهدها ولاية أراكان غربي ميانمار منذ عام 2012.

وأظهرت البيانات الجديدة التي نشرتها صحيفة "The Stateless Rohingya" الأراكانية يوم الثلاثاء11 /2017/07، أن انعدام الأمن الغذائي بدأ يتفشى بشكل مخيف في الجزء الشمالي من ولاية أراكان، منذ انطلاق الحملة العسكرية في أكتوبر الماضي.

وكان جيش ميانمار قد أطلق في 8 أكتوبر الماضي حملة عسكرية شملت اعتقالات وملاحقات أمنية واسعة بصفوف السكان في "أراكان"، وخلفت عشرات القتلى، في أكبر موجة عنف تشهدها البلاد منذ عام 2012.

واستند المسح الميداني إلى مقابلات مع 450 أسرة في 45 قرية في منطقة مونغدو.

وأوضحت المنظمة أن ثلث سكان المنطقة ذات الأغلبية المسلمة يعانون انعدام الأمن الغذائي، وهم بحاجة ماسة إلى الطعام والمساعدات الإنسانية.

وكشفت النتائج الأخيرة عن أن نحو 80 ألفا

و500 دون سن 5 سنوات سيكونون في حاجة ماسة إلى تلقي العلاج من سوء التغذية الحاد خلال الأشهر الـ 12 المقبلة.

كما أكدت أن "جميع الأطفال المشمولين في المسح لا يتلقون الحد الأدنى من الغذاء اللازم".

وجاء إعلان نتائج المسح الأممي بالتزامن مع زيارة تجريها مقررة الأمم المتحدة الخاصة بحقوق الإنسان "يانغي لي" إلى ميانمار وتستغرق 12 يوما بهدف تقييم حالة حقوق الإنسان في البلاد.

وفي وقت سابق، قالت المقررة الخاصة للأمم المتحدة المعنية بحالة حقوق الإنسان في البلاد، إن "العنف الممارس ضد مسلمي أراكان (الروهينجيا) يفوق التوقعات".

بدورها، دعت "العفو الدولية" جميع أطراف النزاع إلى إنهاء نمط الانتهاكات والإساءات ضد المدنيين.

وأشارت إلى أن نحو 100 ألف شخص نزحوا من منازلهم ومزارعهم بسبب النزاعات وانتهاكات حقوق الانسان شمالي البلاد.

ومساء يوم الإثنين 2017/07/10، دعت الولايات المتحدة الأمريكية حكومة ميانمار إلى السماح بدخول البعثة الأممية لتقصي الحقائق بشأن اتهامات بارتكاب قوات الأمن "أعمال قتل وتعذيب واغتصاب" بحق أقلية "الروهينجيا" المسلمة.

ويعيش نحو مليون من مسلمي "الروهينجيا" في مخيمات بولاية أراكان، بعد أن حرموا من حق المواطنة بموجب قانون أقرته ميانمار عام 1982، كما تعرضوا لسلسلة مجازر وعمليات تهجير ليتحولوا إلى أقلية مضطهدة بين أكثرية بوذية وحكومات غير محايدة.

وتعتبر الحكومة مسلمي "الروهينجيا" "مهاجرين غير شرعيين من بنغلادش"، فيما تصنفهم الأمم المتحدة بـ "الأقلية الدينية الأكثر تعرضا للاضطهاد في العالم".

ومع اندلاع أعمال العنف ضد "الروهينجيا" في يونيو / حزيران 2012 بدأ عشرات الآلاف منهم بالهجرة إلى دول مجاورة، ما أوقعهم في قبضة متاجرين بالبشر.

تدفق الاستثمارات الأجنبية يبوئ المملكة صدارة الدول المغاربية

حل المغرب في المرتبة الأولى مغاربيا والخامسة عربيا في تدفقات الاستثمارات الأجنبية المباشرة سنة 2016، بقيمة بلغت 2.3 مليارات دولار، ما يمثل نسبة 7.5 في المائة من إجمالي الاستثمارات الأجنبية الواردة إلى الدول العربية.

وصنف تقرير "مناخ الاستثمار في الدول العربية لعام 2017"، الصادر عن المؤسسة العربية لضمان الاستثمار وائتمان الصادرات، دولة الإمارات في المركز الأول عربياً في تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر الواردة إلى الدول العربية، بقيمة 9 مليارات دولار خلال العام 2016.

ووفق التقرير، الذي صدر يوم الثلاثاء، من قبل المؤسسة التي يوجد مقرها في الكويت، فقد شهدت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر الواردة إلى الدول العربية ارتفاعاً بنسبة 25 في المائة، من 24.6 ملايين دولار عام 2015 إلى 30.8 مليارات دولار عام 2016.

وتصدرت فرنسا قائمة أهم الدول المستثمرة في المغرب ما بين يناير 2012 ودجنبر 2016، بـ3.5 مليارات دولار، بـ83 مشروعاً أشرفت عليه 77 شركة؛ ثم تأتي الصين في المرتبة الثانية بـ2.8 مليارات دولار، تليها الإمارات في المرتبة الثالثة بـ2.7 مليارات دولار.

المحكمة الأوروبية تقر حظر النقاب في بلجيكا

يوم الثلاثاء 11 من الشهر الجاري أقرت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان حظر النقاب في الأماكن العامة الصادر في العام 2011م في بلجيكا، إذ اعتبرت أنه «ضروري في مجتمع ديمقراطي».

واعتبر قضاة المحكمة أن الحظر «يهدف إلى ضمان شروط العيش معاً بصفته أحد عناصر حماية حقوق وحريات الآخرين»، وأنه يمكن أن يكون «ضرورياً في مجتمع ديمقراطي».

مصر.. تدريس مناهج مناهضة لختان الإناث بكليات الطب لأول مرة

أعلنت وزارة الصحة المصرية، الخميس الماضي، موافقة 17 كلية طب حكومية على تدريس مقررات عن مناهضة ختان الإناث بداية من العام الدراسي المقبل، في خطوة هي الأولى من نوعها وتهدف إلى الحد من الظاهرة.

وقال وزير الصحة والسكان، أحمد عماد، إن مبادرة "أطباء ضد ختان الإناث" التي يقودها برنامج مناهضة ختان الإناث في المجلس القومي للسكان (حكومي) نجحت في التواصل مع كليات الطب لصياغة مقررات تعليمية هدفها مكافحة هذه الظاهرة المنتشرة في مصر.

ووفق القانون يُعاقب "كل من أحدث عملا من شأنه ختان أنثى مدة بالسجن لا تقل عن 5 سنوات ولا تجاوز 7 سنوات، ومن طلب ختان أنثى وتم ختانها بناء على طلبه بالحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تجاوز 3 سنوات، بالإضافة إلى السجن المشدد (لم يحدد مدة العقوبة) إذا نشأ عن هذا الفعل عاهة مستديمة أو إذا أدى ذلك الفعل إلى الموت".

اعتماد بغداد عاصمة للإعلام العربي 2018

اعتمد مجلس وزراء الإعلام العرب الأربعاء 12 يوليوز الجاري، العاصمة العراقية بغداد "عاصمة للإعلام العربي" لعام 2018.

جاء ذلك في ختام أعمال الدورة العادية الـ 48 لمجلس وزراء الإعلام العرب التي عقدت اليوم في مقر الأمانة العامة للجامعة العربية بالقاهرة برئاسة تونس، وفق بيان للجامعة.

وتهدف فكرة "عاصمة الإعلام العربي" إلى رفع كفاءة الإعلام والإعلاميين في الدول العربية من خلال التدريب وورش العمل ومن خلال النقاش والحوار حول مجموعة من القضايا الإعلامية العربية.

وبدأت الفكرة منذ منتصف 2010، فيما اختيرت العاصمة البحرينية "المنامة" عام 2013 أول عاصمة للإعلام العربي.

سابقة.. وزارة العدل تفتح مباراة مهنة العدول في وجه النساء

تستعد وزارة العدل لتنظيم مباراة مهنة العدول في أكتوبر المقبل، خصصت لها 700 منصب، يتوقع أن تشارك فيها النساء، وذلك لأول مرة في تاريخ هذه المهنة التي توصف بأنها ذكورية بامتياز.

وتنظم المباراة الجديدة في إطار القانون الجديد لمهنة العدول رقم 16-03، المتعلق بخطة العدالة والصادر في فبراير 2006، خاصة المادة الرابعة منه التي أسقطت شرط الذكورة في ممارسة مهنة العدالة وهو الشرط الذي كان ينص عليه القانون المنظم للمهنة الصادر سنة 1982.

وكانت وزارة العدل قد نظمت مباراة مماثلة سنة 2010، إلا أن النساء لم يشاركن فيها.

وقال رشيد ساسيوي ـ رئيس الهيئة الوطنية لعدول المغرب ـ إن "النساء لم يسبق لهن أن مارسن مهنة العدالة" مؤكدا أنه "عبر التاريخ الإسلامي لم تكن النساء يوثقن العقود" وأضاف أن القانون القديم الذي كان معمولا به في المملكة "ساير هذا الاجتهاد الفقهي"

المملكة المغربية
وزارة العدل و الحريات

المغرب.. 125 حريقا في الغابات دمر 397 هكتارا في ستة أشهر

قال مسؤول مغربي الثلاثاء الماضي، إن البلاد شهدت 125 حريقا في مختلف المناطق الغابويّة، خلال الأشهر الستة الأخيرة (منذ فاتح يناير إلى حدود اليوم 11 يوليوز) أتت على 397 هكتارا.

وأوضح المندوب السامي للمياه والغابات (حكومية) عبد العظيم الحافي خلال مؤتمر صحفي عقده الثلاثاء الماضي في الرباط، أنه تم تسجيل تراجع الحرائق في البلد خلال الأشهر الستة الأخيرة بنسبة 45 بالمائة، مقارنة بالفترة نفسها من السنوات العشر الأخيرة.

وقال الحافي بخصوص الاستراتيجية التدبيرية والاحترازية لمكافحة حرائق الغابات خلال صيف هذا العام "تم إقرار نظام معلوماتي لتحديد مؤشر المخاطر لكل كلم مربع، يعلن عنه مرتين في اليوم، من شهر ماي حتى سبتمبر".

وأضاف أن هذا المؤشر "تتحكم فيه عوامل درجة الحرارة ورطوبة الهواء وسرعة الرياح واتجاهها والأصناف الغابوية".

وتغطي الغابات مساحات كبيرة من المغرب تقدر بنحو 12 % من المساحة الإجمالية للبلاد.

وتفيد السجلات الرسمية بأن 422 حريقا نشب في المغرب خلال 2016، وتقول السلطات إن إجمالي مساحة المنطقة التي احترقت أقل بشكل ملموس من نظيرتها في إسبانيا والبرتغال والجزائر، وعزت السلطات ذلك لجهود المراقبة والوقاية.

عين على الأحداث

الهند تتخطى الصين لتصبح أسرع الاقتصادات نمواً حسب دراسة لهارفارد

ذكرت دراسة جديدة أجراها مركز التنمية الدولية (CID)(×) بجامعة هارفارد أن الهند برزت باعتبارها القطب الاقتصادي العالمي للنمو من خلال تجاوز الصين، ومن المتوقع أن تحافظ على المقدمة خلال العقد القادم.

ووفقاً لتوقعات النمو في مركز التنمية الدولية بجامعة هارفارد، فإن الهند ستحتل أعلى القائمة في الاقتصادات الأسرع نمواً حتى عام 2025م بمعدل نمو سنوي متوسط قدره 7.7%، وذلك لأسباب متنوعة.

وقالت البحوث التي أجرتها الجامعة: انتقلت الجاذبية الاقتصادية للنمو العالمي خلال السنوات القليلة الماضية من الصين إلى الهند المجاورة، حيث من المرجح أن تبقى على مدى العقد المقبل.

وعزت الدراسة آفاق النمو السريع للهند إلى أنها في وضع جيد جداً لمواصلة التنويع في مجالات جديدة نظراً للقدرات المتراكمة لديها حتى الآن.

وأضافت البحوث أن الهند حققت تقدماً في تنويع قاعدة صادراتها لتشمل قطاعات أكثر تعقيداً مثل المواد الكيماوية والمركبات وبعض الإلكترونيات.

وأن الاقتصادات النفطية الكبرى تعاني من مأزق اعتمادها على مورد واحد، وقد تراكمت لدى الهند وإندونيسيا وفيتنام قدرات جديدة تسمح بإنتاج أكثر تنوعاً وتعقيداً يتنبأ بنمو سريع في السنوات القادمة.

وقالت الدراسة: إن النمو الاقتصادي يفشل في اتباع نمط سهل، إن البلدان التي يتوقع أن تكون أسرع البلدان نمواً – مثل الهند وتركيا وإندونيسيا وأوغندا وبلغاريا – متنوعة في جميع الأبعاد السياسية والمؤسسية والجغرافية والديموجرافي.

وأضافت التوقعات الجديدة للنمو أن ما يتقاسمونه هو التركيز على توسيع قدرات القوى العاملة التي تجعلهم في وضع جيد قابل للتنويع في المنتجات التقليدية والمنتجات الجديدة التي تتميز بتعقيد يتزايد باستمرار.

وبالإضافة إلى ذلك، تقسم التوقعات البلدان إلى ثلاث فئات أساسية:

أولاً: البلدان ذات القدرات الإنتاجية القليلة جداً التي تنوع بسهولة في المنتجات ذات الصلة.

ثانياً: البلدان التي لديها قدرات كافية تجعل التنويع والنمو أسهل، والتي تشمل الهند وإندونيسيا وتركيا.

ثالثاً: البلدان المتقدمة مثل اليابان وألمانيا والولايات المتحدة التي تنتج بالفعل جميع المنتجات الموجودة تقريباً، بحيث يتطلب التقدم دفع الحدود التكنولوجية في العالم من خلال ابتكار منتجات جديدة، وهي عملية تنطوي على بطء النمو.

ومن المتوقع أن يستمر النمو في الأسواق الصاعدة في تجاوز الاقتصادات المتقدمة، وإن لم يكن بشكل موحد يشير إلى توقعات النمو الجديدة لتلك الدول.

وتستند توقعات النمو إلى تدابير التعقيد الاقتصادي لكل بلد يراعي تنوع وتطور القدرات الإنتاجية المتضمنة في صادراته والسهولة التي يمكن بها أن يزيد التنوع عن طريق توسيع تلك القدرات.

(×) مركز التنمية الدولية (CID) هو مركز تابع لجامعة هارفارد الأمريكية يعمل على تعزيز فهم التحديات الإنمائية وتقديم حلول ناجعة لمشكلات الفقر في العالم.

لآلئ وأصداف

يلتقطها أ.د. الحسن الأمراني

الشعر في موكب السيرة العطرة (5)

كان في المدينة، في الجاهلية، فنّ يسمّى النقائض، ويقوم على التفاخر بالأنساب والآباء والأيام، فلما كان الإسلام عرف هذا الفن تطورا عظيما، ودخل فيه شعراء ذوو ألسنة حداد، وصار للعقيدة التي لم يكن لها وجود في الشعر الجاهلي حضور بارز، وأصبح شعراء الإسلام يفخرون على خصومهم بأنهم أهل توحيد، لا أهل شرك، وأن النصر من عند الله، لا من كثرة العدة والعدد. وعرف حسان بن ثابت، بحنكته وخبرته وشاعريته، كيف ينال من المشركين في شعره، وذلك بالمزج بين المذهبين، لأن في تذكير المشركين بالأيام والوقائع أثر جسيم في نفوسهم. وأشعارهم في ذلك كثيرة.

ولكن الأمر لم يقتصر على حسان، بل كان لغيره من الشعراء، ولاسيما كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، نصيب وافر من ذلك. وقد شاع على ألسنة الناس رأي يذهب إلى أن حسان بن ثابت وكعب بن مالك كانا يتناولان المشركين بالنيل من أحسابهم وأنسابهم، وأيامهم ووقائعهم، وأن عبد الله بن رواحة كان يهجوهم بالشرك. فكان شعر حسان وكعب أشد عليهم لما كانوا على شركهم، فلما أسلموا هانت عليهم تلك الأشعار. وأما شعر عبد الله بن رواحة فظل أثره يمضهم في الإسلام، لأنه يذكرهم بما كانوا عليه من الكفر والضلالة.

وهذا الرأي، وهو صادر عن ناقد حصيف، قد يكون سليما وسالما من الطعن من وجوه، إلا أنه لا يمكن أخذه بإطلاق. ففي شعر كعب وحسان أيضا أثر للإسلام بالغ في مناقضاتهم. وللتدليل على ذلك نورد مناقضة كانت ما بين ضرار بن الخطاب، يوم كان على شركه، وبين كعب بن مالك.

ومطلع قصيدة ضرار بن الخطاب في يوم بدر:

عليهم غدا، والدهـــــر فيه بصائر
فأجابه كعب بن مالك، فقال:
عجبت لأمـــــر الله، والله قـادر
على مـــا أراد، ليـــس لله قاهـــر
قضى يوم بدر أن نلاقي معشـــرا
بغـوا، وسبيل البغي بالناس جائـــر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهـــم
من الناس حتى جمعهم متكـــاثر
وســـارت إلينا لا تحاول غيرنـــا
بأجمعهـــا كعبٌ جميعـــا وعـــامرُ
وفينا رسول الله، والأوس حـــولـــه
لهـــم معقـــل منهم عزيـــز ونـــاصر
وجمع بني النجـــار تحت لـــوائه
يُشّـــون في الماذيّ، والنقع ثـــائر
فلمـا لقيناهم، وكـل مجاهـــد
لأصـــحابـه مستبسل النفس صـــابر
شهـدنا بأن الله لا ربّ غيـــره
وأن رسول الله بالحـق ظـــاهرُ
وقد عُـرّيتْ بيضٌ خفـافٌ كأنها
مقابسُ يزهيها لعينيك شاهـــرُ
بهنّ أبدنـا جمعهم فتبـــددوا
وكان يلاقـي الحيْن من هو فـــاجرُ
وكان رسـول الله قد قال: أقبلـوا
فـــولّـوا وقالوا: إنما أنت ســـاحرُ
لأمر أراد الله أن يهلكـــوا به
وليْـــس لأمر حمّه الله زاجـــرُ

ففي هذه القصيدة أمور متعددة، جديرة بالنظر، ومنها:

إن هذه القصيدة تقوم شاهدا على أنه ليس ضربة لازب القول بأن كعب بن مالك كان يهجو القوم بمآثر الجاهلية فحسب، وأنه ترك أمر الكفر والإيمان لابن رواحة. فالقصيدة مليئة بالإيمان من مطلعها إلى مقطعها.

لقد افتتح ضرار بن الخطاب قصيدته بما يدل على عقيدة المشركين الدهرية، وأنه ﴿ما يهلكنا إلا الدهر﴾، فالحين الدائر، أي الهلاك، إنما هو من فعل الدهر. فجابهه كعب منذ المطلع بأن الأمر كله لله. وذكر من صفاته تعالى القدرة والقهر، وذلك ما يناسب المقام؛ لأن المقام ليس مقام رحمة، بل مقام قهر للأعداء. وفي هذا ردّ على القائلين بأن الإسلام لم يؤثر في الشعر يوم مجيئه. كل ما في القصيدة ينطق بإسلاميتها. ولو أننا وضعناها بين يدي قارئ حصيف، غفلا من اسم صاحبها، وطلبنا منه تحديد عصر قائلها، لما ردها إلا إلى الإسلام. وأثر الإسلام في القصيدة ليس وقفا على الألفاظ فقط، ولا على المعاني فقط، بل هو جامع بين المعنى والمبنى. فالشاعر بعدما صور لنا بعض مظاهر المعركة في سبعة أبيات، خلص إلى نتيجة باهرة، سجلها في قوله:

شهـدنا بأن الله لا ربّ غيـــره
وأن رسول الله بالحـق ظـــاهرُ

ففي هذا البيت إقرار بالوحدانية، وفيه شهادة برسالة محمد ﷺ، وفيه بيان لحقيقة لا تتخلف أبدا، وهي ظهور رسول الله ﷺ على أعدائه بالحق.

وفيها بيان انهيار للقيم الجاهلية التي كانت تجعل العداوة بين الأوس والخزرج عداوة لا تنتهي، وهي التي قال فيها الحق سبحانه: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: 63). فالشاعر، وهو خزرجي، يبدأ بالفخر بالأوس، ثم يثني بالخزرج. ولا ننس أن الخزرج هم أخوال رسول الله ﷺ.

وفي القصيدة اقتباس واضح من القرآن الكريم، ومن ذلك قول الشاعر:

وكان رســول الله قد قال: أقبلـوا
فـــولّـوا وقالوا: إنما أنت ســـاحرُ

فهذا من قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (الإسراء: 47).

ويختم كعب قصيدته بهذا المقطع:

لأمر أراد الله أن يهلكـــوا به
وليْـــس لأمر حمّه الله زاجـــرُ

وفيه تأكيد لعقيدة القدر، وتسليم لأمر الله ﷻ، وبيان لقدرة الله المطلقة التي لا يقف دون تنفيذها شيء.

إلى أن نلتقي

نقط الامتحان ومعايير القبول في المؤسسات العليا

جرى العرف أو كاد في مختلف المؤسسات والهيئات والجامعات على أن نقط الامتحان هي المعيار الذي يُقبل على أساسه الطالب المترشح أو يرفض، إذ أن المؤسسات ذات الاستقطاب المحدود عادة ما تضع سقفا أدنى محددا لولوجها، وقد تعتمد المباريات بعد ذلك، وقد تكون النقطة العليا المحصل عليها كافية لأن تؤهل صاحبها تبوُّء مقعد بشكل مريح في المجال الذي يأمله.

إن النقط المحصل عليها في نهاية السنة حساسة جدا، إذ أنها قد تؤدي بسهولة بطائفة إلى الولوج إلى مؤسسات عليا متميزة، كما أنها قد تعصف، وبسهولة أيضا، بمجموعة أخرى بفارق بسيط جدا بينها وبين جملة من المحظوظين، ومن ثم قد تقضي على حُلم كان يراود هذه المجموعة، وخاصة حينما يتعلق الأمر بشهادة البكالوريا.

وبسبب ذلك أحست الجهات المعنية في أكثر من بلد أن المسألة حساسة جدا، فاتخذت إجراءات عديدة متتالية، لعل آخرها عندنا ما قيل عن إلغاء اعتماد نقط المراقبة المستمرة في المعدل العام للبكالوريا ابتداء من السنة المقبلة.

ولعل إجراءً من هذا القبيل يمكن أن يكون له دور متميز في الارتقاء بمستوى جودة الشهادة، وإعطاء مصداقية أكبر للنقطة المحصل عليها، لو كانت الامتحانات تجري عندنا في ظروف عادية على الأقل، ولا أقول ممتازة، لكن الأمر على خلاف ذلك، ومن ثم فإن الإجراء لا يعالج المشكلة من جذورها، لأسباب منها:

● أن ما قد يحصل في نقط المراقبة المستمرة من "كرم حاتمي"، هنا أو هناك، أو ما يمكن أن يكون من غش وتدليس في امتحاناتها وفروضها، قد يحصل أيضا في الامتحانات الجهوية والوطنية. ولعله بالنظر -على الأقل- إلى ما تناقله الناس عبر وسائل التواصل الاجتماعي من تسجيلات مرئية لمرشحين لامتحان البكالوريا، وما صرحوا به عما فعلوه من أفعال داخل قاعة الامتحان، أو ما كان ينوي بعضهم فعله، وتسجيلات أخرى لما ضُبط عند عدد من التلاميذ من وسائل غش متطورة، حتى ولو كان بعضها تقليديا في أصله، يدل بشكل أو بآخر أن الغش قد يحصل أيضا في الامتحانات الإشهادية الوطنية، ولو بنسب متفاوتة. ولذلك فإن عدم اعتماد نقط المراقبة المستمرة في النتيجة النهائية للبكالوريا، بدعوى إبعاد النقط المغشوشة، أو الزائدة عن اللازم، لا يعالج القضية من أساسها.

● أن الإبقاءَ على حصيلة الامتحان الوطني مع نسبة بسيطة من نقط الامتحان الجهوي "فرصة العمر" الوحيدة والأساسية للتلميذ، قد يجعل العديد من التلاميذ، وخاصة الذين يعتمدون على أنفسهم ولا يفكرون في الغش بتاتا طبعا لا تطبعا، يجعلهم يعيشون هواجس متنوعة، ما بين اضطراب نفسي وقلق ذهني حول طبيعة الامتحان ووضوح الأسئلة، وما بين الخوف من سرقة حلمهم من قِبل من يمتهنون الغش بشكل احترافي، وما بين هاجس التصحيح غير العادل للأوراق، ومن ثَم قد تنفلت منهم "فرصة العمر" هذه لأدنى مَزلَق. وليس بغريب عمَّن له علاقة بالمجال، ما لحق متميزين متألقين في المسار الدراسي العادي من كبوات في الامتحان النهائي تبخرت معها كل أحلامهم.

ولذلك فإن اعتماد حصيلة النقط مقياسا لولوج المؤسسات ذات الاستقطاب المحدود أو ما ماثلها من مؤسسات، ليس مقياسا عادلا من الناحية الواقعية، وإن كان مقبولا من حيث الظاهر. ولقد مررتُ شخصيا، مع عدد من زملائي في الجامعة، وفي أكثر من كلية، بتجارب طريفة في الموضوع، حيث كنا نحاول جهد الإمكان ألا تكون النقطة العالية، أو الميزة، المعيار الوحيد لقبول الطالب في سلك الماستر، ومن ثم كنا نسمح بإجراء مباراة القبول ثم المقابلة، لكل من دلّت أوراق ملفه على جانب من التميز، حتى ولو كانت النقطة العامة لا تراوح التوسط. ولقد كانت النتيجة في العديد من الحالات أن رأينا أصحاب النقط الدنيا من المقبولين يحصدون درجات التميز والتفوق في التخرج، وفي المقابل وجدنا عددا من أصحاب النقط المتميزة يأتون في ذيل القائمة بعد سنتين من التكوين.

ولذلك ليس من الإنصاف أن تحرم شريحة، الله أعلم بعددها، من التقدم إلى مباريات الولوج إلى المؤسسات ذات الاستقطاب المحدود بمجرد مزلق ظرفي في امتحان البكالوريا. صحيح أن الأعداد الهائلة للمترشحين لا تسمح بالوقوف عند مثل هذه الحالات، لكن أقول إن البحث عن حل سيؤدي بالتأكيد إلى إيجاد مخرج مشرِّف لهؤلاء المنزلقين، خاصة إذا أُخذ بعين الاعتبار جانبان:

أولهما: عدم وجود فارق كبير بين نقط البكالوريا ونقط المراقبة المستمرة.

وثانيهما: الدور الكبير الذي يمكن أن تقدمه الخبرة الحاسوبية في هذا الباب.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني